الأدبي الأسبوع

www.awu.sy

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1702" الأحد 1/11/2020م- 16صفر 1442 | 12صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

لوحتان للفنان التشكيلي د.علي سليمان

•مالك صقور

كلمة أولى

كراتشكوفسكي و المخطوطات العربية -٥-

مأثرة أغناطيوس كراتشكوفسكي- كما قلت سابقاً- تجلّت في أمرين: الأمر الأول عشقه لهذه المخطوطات الثمينة، والأمر الثاني: حفاظه على هذه المخطوطات فحين حاصرت القوات النازية مدينة لينينغراد في أثناء الحرب العالمية الثانية (الحرب الوطنية العظمى) عند السوفييت، ضحّى كراتشكوفسكي بكل شيء حتى صحته حين كان يعاني من مرض عضال، ونقل المخطوطات من لينينغراد إلى مكان أمين وبعيد عن عيون الهتلريين النازيين، وهكذا، استطاع كراتشكوفسكي أن ينقذ هذه المخطوطات التي أحبها حتى التقديس وتعامل معها كعاشق.

يتذكر كراتشكوفسكي في أثناء اشتداد الحرب والحصار عام 1941 قائلاً: «المخطوطات تحيطني، وفي ليالي السهاد ووقت المرض حين تصيب الحمى رأسي، وحين لا يستطيع عقلي أن يتحكم في أفكاري في كل هذه الأوقات أسمع في زفرتها أصواتاً هادئة تناديني: «ألم تنسنا؟ ألم تبتعد عنا؟ أتذكر كيف أعدتنا إلى الحياة؟ وكيف دققت النظر باهتمام في سطورنا البالية المطموسة؟ وكيف أنك فتحت معاني تلك السطور رويداً رويداً؟ وكيف دققت النظر أيضاً في تلك الخطوط التي كتبت بسرعة أو بصورة غير جذابة، وكيف عرفت منها قصة حياتنا».

كان لا بد من هذا المقبوس، الذي يبوح فيه كراتشكوفسكي كيف كانت المخطوطات تحاوره بصمت. وهو، على الرغم من المرض القاتل، وعلى الرغم من البرد الشديد، بقي مثابراً على تحقيقه هذه المخطوطات التي لولاه لكانت اختفت أو أتلفت. يصف كراتشكوفسكي المخطوطات العربية الثمينة التي تحتشد حوله من كل جانب وطرف، ويرى بعضها وقد صارت أوراقها صُفراً تحمل حروفاً بخط كوفي واضح، وبعضها يحتوي كتابة لرهبان سيناء، وبعضها فاخرة ذات صفحات لامعة من الورق الشمعي، جُلبت من مكتبات سلاطين المماليك، وفي الوقت نفسه، توجد مخطوطات أخرى فقيرة متواضعة، ولكن، في رأي كراتشكوفسكي هي الآثار الرائعة التي لا تقدر بثمن.

فبعض هذه المخطوطات كتبت بخطوط جميلة، لكنها باردة لا روح فيها، لأنها كتبت بيد النساخين المحترفين، وبعض المخطوطات أوراقها نظيفة كأنما خرجت تواً من يد أول صاحب لها، وبعض المخطوطات أصابها لهيب الحريق، وبعضها أصابها بلل الماء وذلك دليل على الكوارث والمصائب التي لم ترحم المخطوطات ولا البشر.

بعض هذه المخطوطات ضاعت منها الصفحات الأولى، وبعضها ضاعت منها الصفحات الأخيرة فهي أشبه بذوي العاهات تماماً، يقول: «كأنما هذه المخطوطات تنظر إلى الناس تشكو كربها وتعرض آلامها لتشهد الناس على تلك الجرائم التي ارتكبت بحقها.. وإنه ليؤلمني أن أنظر إلى جراحها».

ويكرر كراتشكوفسكي قائلاً: المخطوطات حولي تحيطني وتهمس بي: «ألم تنسنا؟ هل ستأتي إلينا؟»

هذا غيض من فيض عن ذكريات كراتشكوفسكي مع المخطوطات العربية، وهذا هو الفرق الهائل بين الاستشراق الشرقي والاستشراق الغربي..

.....

وللحديث صلة.

«العاطفة والجسد» الشعر..ومعانيه

• سهيل الديب

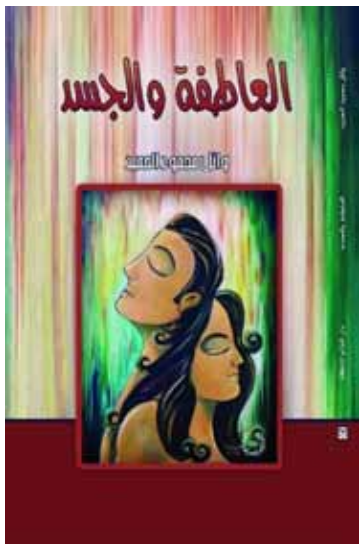

«العاطفة والجسد» عنوان لافت وفق الشاعر فيه لأنه ضمَّ الديوان كله معاني وصوراً فكان فاتحة شديدة الصدقية والإيحاء.

لوحة الغلاف للفنانة ديما نوّاف عكّو لعاشقين متلاصقين يحلمان معاً وأعينهما مغمضة واللون الأخضر الرامز للأمل يكاد يغطي اللوحة.

أمَّا التأطير فجعل اللوحة كأنها معلقة على جدار مطلي بالألوان نفسها فبدت جامدة تنقصها الحركة.

يهدي الكاتب نصوصه، هذا ذكاء منه، إذ لم يسمها شعراً، ربما خوفاً من نقادة يقيس الإبداع بمسطرة التجنيس فيلغي عنها جنسها الشعري. إذ يهدي نصوصه إلى الفنانة سميرة توفيق ولا يذكر سبباً لذلك ولا إشارة إلى ولهه بها. هل لأنها مطربة فقط؟ أم لأن لها دورها في الأغنية العربية البدوية؟ أم لأن هناك سجية ما لا يعرفها إلا الكاتب؟.

للناشر الشاعر غانم بو حمود كلمة يقول فيها إن الحب لم يهاجم رأسه وقلبه وحواسه وإنما هاجم أبجديته فلم يهزم حين هاجمه بل بقي صامداً، وإني لأعجب من هذا التعبير غير الموفق وكأن الحب فيروس يهاجم صاحبه فيهزمه والحب في اعتقادي وفق رقيق من المشاعر الفيّاضة تجعل المحب في حالة من التحليق الروحي والجسدي.

هو احتضان واطمئنان وتلاش في المحبوب، وهو الصورة المثالية لما يجب أن يكون عليها الإنسان، فالحب نصر مؤزر بذاته على كل الشرور.

من المديح جداً قراءة ديوان في نحو ساعة بسبب بياض صفحاته التي يتوسطها سطران أو أكثر قليلاً، وهي طريقة اتبعها الكثير من الشعراء في حداثة شكلانية تحطيماً للشكل العمودي، وأنا ممن يهوون هدم كل ما هو جامد بتحديثه والارتقاء به وتجاوزه، ولا ريب أن الوائل الحميد المحمود لديه القدرة على الابتكار والإبداع لكنه لا يجازف، فهو مأسور بطريقة أو بأخرى للكبير نزار قباني، وهذا ليس انتقاصاً وإنما توصيف، فالقباني طبع بأسلوبه الشعري أكثر الشعراء والشاعرات في أرجاء الوطن العربي منذ ديوانه الأول، قالت لي السمراء: وحتى يومنا هذا، فشعره جاء ثورة شكلاً ومضموناً، ولذلك على شعرائنا أن يكونوا ثورة شكلاً ومضموناً، فما نفع الشعر إن كرر نفسه أو كان صورة عمَّا ينشر ويتداول، ولهذا أطالب بالقصيدة المنحوتة ربة للشعر والجمال والحق.

يمزج الحميد في شعره الغزلي بين الروح والجسد، وهذا يدعى الحب الكامل وهو الحب المثالي في رأيي، يقول في قصيدته الأولى «نصف تعقل» علميني أن أحبك بكل جنون ونصف تعقل وكل اشتهاء، علميني كيف أجمع لك قصيدةً من أطراف الغرام وكيف أبحرُ في فضاء عينيك أكثر... وكما هو واضح وجَميل هذا النور في جسد الشعر القباني: اشتقت إليك فعلمني ألا أشتاق علمني كيف أقص جذور هواك من الأعماق علمني كيف تموت الدمعة في الأحداق، علمني كيف يموت الحب وتنتحر الأشواق.

علّميني كيف أكون طفلاً يحلم بالسلام.. يجمع كلمات الحب عن شفاه الزهور متعثراً بالكلام.. صورة بديعية جميلة فأنثى الزهور شفاهها عطر تنشرها للحبيب هيابة وجلة. نعم نصوص الحميد أكثرها نثر لكن تحمل في ثناياها موسيقاها ومشاعرها وعواطفها وخيالاتها، لذلك فأوزان الخليل لا تسد الطريق أمام انسيابها الشعري.

أسمعُ صدى مآذن دمشق الحزين (لقد جررت الحزين والأصح أن تكون منصوبة صفة للصدى) وحبذا لو كانت الحزينة صفة للمآذن وليس للصدى.

أعرف أن الشعر يجب أن تشكل كلماته وحروفُه، لكن حين يصعب ذلك فالأولى تركه كي لا نقع في الأخطاء النحوية يقول الشاعر: وضعتُ باقةَ وردٍ توليبَ حزينةً والأدق وضعت باقة وردٍ توليبٍ حزينة.

من الصور الشعرية اللافتة: كيف تكون شفتاك الأسوارَ والقيودَ والحريةَ (رفع الحريةُ) وكيف أكونُ الثائرَ، فقد استطاع بهذا التكثيف اختصار أسطر عديدة وهذا يحسب له، قصيدة «لن تأتي» قصّة شعرية عذبة في معناها وفي عذوبتها وقد قرأت للفرنسي مالارميه قصيدة على منوالها بعنوان «كانت تمطر» وقد أجاد الشاعر في انسيابيتها وفي تخيل المكان واللحظات الحميمة التي لم تكتمل في ساحة الانتظار.

في ليلة شتوية... لم أُعدد خطوات الغياب.. هي لم تأت.. صببت كأسين من نبيذ عشقٍ معتق... جهزت طاولة العشاء... وضعت باقة ورد توليبٍ حزينة... أعرف أنها تعشق التوليب والرقص والغناء.. بهدوء أشعلت موسيقا الوداد... بالدموع أشعلت شموع الميلاد... كل طقوس الحبّ هيأتها.. غيرت لون السماء بلهفة عاشق.. انتظرت كطفل ضائع في صخب المدينة.. احترقت وانتظرت.. أحتضن السماء أنا الذي تأنقت لبست أجمل ما عندي...

هذه الجمل القصار أمدَّتها الكثير من الصدقية واللهثة وراء الكلمات للقاء المحبوب الذي قد يأتي.

يتماهى لدى الوائل الوطن والمحبوب فيغدو الحضنان. حضن الوطن وحضن المحبوب واحداً رمزاً للحنان والدفء والاحتواء: حبيبي حضني لك وطن وحضنك لي وطن.. الحب وطن وهل لغير الوطن يكون الانتماء؟ وفي مكان آخر يقول: أقولها ببساطة مشرد فقير يبحث عن وطن. دفءُ أحضانك وطنه الوحيد. في الحقيقة أنا لا أدري ثم يجعل الشاعر الحضن الواحد أحضاناً؟ هل هي للمبالغة أم أن كل جزء من جسد المحبوب أو الوطن هو حضن للشاعر؟ ربما.

بعض الذين أنسناهم كأصص توليب من الكريستال يصعب علينا خدش رقتهم وعذوبتهم وفيض مائهم السلسبيل كي يبقى الناصع منهم مبهراً أبداً، لكن لا بدَّ من همسة حب بيننا أيها السجي الخصول المولع حبتين وطناً وحبيبة، فحب الوطن يقتضي الحفاظ على لغته وفكره ولأن اللغة وعاء الفكر، فكذا الوطن وعاء المجد والمصدر الأهم للرفعة.

ـ كم تمنيت يا حبيبتي أن تبقين يدك في يدي وتبقين رسائل الحب.

ـ اكتبيني بضع كلماتٍ بأصابعٍ من حرير
ـ ابني لي بيتاً
ـ وأجعل قدسيتَه عناقُنا ق
ـ أصاب العشقُ شفتاي شفتي
ـ وفنجانُ قهوة متصدّعٍ متصدعٌ
ـ في عيونك أكثر عينيك
ـ من يداي فمن يدي
ـ لم أعدّ نفك الادغام فتصبح لم أعدد

اخترت أخطاء يقع فيها الكثيرون لعلنا ننتبه إليها أو نسأل عنها.

باختصار هذا الكتاب كتاب حب ووجد وغرام يصح أن يوضع تحت رأس العاشقين ليصليا بعض ترنيماته وطقوس الهيام فيه، لكنه بالغ في مباشرته ووضوحه، فالشعر خاصة يرفعه رمزيته وأحاجيه وخياله الجامح وصوره البليغة وعاطفته الدفّاقه وبيانه البديع وتفرده ووحدانيته واستشراف الآتي من الزمان. فالشعر تنبؤ أيضاً.

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

سرت على ألسنتنا تعابيرُ ليست صحيحة، لابد من التنبيه إليها وتصويبها.

من تلك التعابير قولُ الناس: أنا كطبيبٍ أنصح بكذا، وأنا كإنسان لا أقبل بكذا.

وهم يقصدون الحال من الفعل وإذا أردنا تقويم الجملتين السابقتين قلنا: أنا طبيباً أنصح بكذا؛ أي كوني طبيباً، وأنا إنساناً لا أقبل بكذا؛ أي حالةَ كوني إنساناً.

وقد تسربت هذه الاستعمالات الخاطئة لبعض تعابير لغتنا العربية كما هم معلوم من الترجمة الحرفية عن الإنكليزية. في الإنكليزية يقولون مثلاً: We as arabs refuse accupation.

ويترجمونها حرفياً فيقولون: نحن كعرب نرفض الاحتلال. وترجمتها الصحيحة: نحن العرب نرفض الاحتلال. يقولون خطأ: ضربٌ مُبْرِحٌ. بَرِحَ، أي: زال، وبرَّحَ به الألم، أي: اشتدَّ عليه. إذاً: التعبير الصحيح هو: ضربٌ مُبَرِّحٌ، لا مُبْرِح.

الدائنُ: من يعطيك مالاً على سبيل الدَّيْن. والمَدينُ هو من أخذ المال دَيْناً.

الخطأ الشائع قول الناس: أنا مَدْيون. والصواب: مَدين.

الشَّغافُ بفتح الشين غلافُ القلب أو سويداؤه. ويُخطىء الناس فيقولون: شِغاف بكسر الشين.

الأوضاع الاجتماعية في قصص (أقوى من السنين) للقاصة وداد سكاكيني

• عوض سعود عوض

تضعنا القاصة في أجواء أربعينات القرن الماضي. عادات وتقاليد أهل دمشق ونظرتهم إلى المرأة، وإيمانهم بتراثهم الشعبي، في محاولة للإحاطة بأجواء المرأة والرجل، ونظرتهم للحياة، يلاحظ وجود عدد من قصصها تتحدث عن المرأة، ففي قصة (أقوى من السنين) نرى أن المرأة عاشت حياتها حتى بعد أن أحيلت على المعاش، حتى إنها وهي تنظر إلى نفسها في المرآة ترى إنها ما تزال شابة جميلة، وكأنها لم تتجاوز الأربعين سنة... فضلت أمها وظيفتها على زواجها، وصفت الوظيفة كالمرأة الخالبة التي تستهوي الناس، ومع ذلك ظلت متماسكة مقبلة على الحياة، فكرت بإنشاء روضة نموذجية، تكون حضانة للأطفال . قرارها هذا أثر على زميلها شداد الذي أحيل مثلها على التقاعد، فكانت حياته فارغة، استطاعت في زيارته الأخيرة لها برفقة خالها، أن تقنعه بالحضانة، وافق وأبدى سروره، ولم يكتف بذلك، بل بادر لخطبتها، فقررا إكمال مسيرتهما في الجنة العتيدة، وفي رعاية الطفولة.

في قصة (اللقمة المرة) يتكفل عم أيمن بتربية ابن أخيه بعد وفاة والده، وعودة أمه إلى بيت أخيها، في بيت عمه يكاد لا يمضغ اللقمة التي سماها مرة، أما عندما يذهب إلى أمه فإنه يتناول الطعام. أمه تراقبه وتترصده في ذهابه إلى المدرسة وتحضر له لفافة من لحم وحلوى. وذات صباح لم يذهب إلى المدرسة، سألت عنه في المدرسة فأخبروها أنه لم يداوم، ذهبت إلى بيت عمه فوجدته مريضاً، سمح لها عمه أن تبقى إلى جانبه طوال مده مرضه، إلا أنه بوجودها شفي بسرعة.

أما قصة (شقاء محبوب) فتقارن بين صبحية التي انجبت تسعة ثلاث منهم إناث، ومع ذلك كانت مثال الأم الحريصة على أبنائها، تفصل لهم من ثيابهم ثيابا جديدة، بيتها نظيف ومرتب ويضرب بها المثل، حتى إنها تستخدم الشبه والكف الأزرق لترد الحسد والعين عنها وعن أولادها. زوجت بناتها الثلاث، وعاشت في هناءة. أما النساء الميسورات اللاتي يذهبن ويلدن في المشافي، فإنهن يعانين من الحمل والولادة إذ قالت إحداهن: (لو ذاق الرجال مثل آلام النساء في الولادة، لأثروهن على أنفسهم وما ساموهن ضيماً وظلماً لن أعرض نفسي للموت بعد اليوم.) صفحة 68

تتحدث قصة خبز الغد عن أم عثمان التي توفى زوجها، وسمت ابنها على اسمه تحاول أن تغيّر اسمها إلى أم حسان، أو أم سمير ذهبت إلى المختار؛ وحصلت على وثيقة بأنها من أهل الحي، ليسهل عليها شراء خبزها بالثمن الرخيص الذي اختص به الفقراء. باتت تلك الليلة هادئة وهانئة، وصباحاً حصلت على الخبز. تناولت إفطارها مع ابنها عثمان، عندها قررت أن اسم عثمان هو أحلى الأسماء. تتحدث قصة (الربيع الغريق) عن السائح لطيفي الإيراني الذي وجد مخطوطة، تبين أنها لتامر الماوردي، فذهب إلى حماة ليلتقي به. فهم من خادم الفندق أن تامر كان يذهب إلى منتزه الميماس، وهناك على ضفة العاصي يتنهد، ويطيل النظر بأوراق معه ثم يمسح الدمع، لأنه كان يحب فتاة حسناء تأتي إلى الميماس، وتجلس وحيدة تطيل النظر إلى نهر العاصي، وفي إحدى المرات وقعت في النهر وغرقت. التقى السائح الإيراني بتامر الماوردي ، وتبين أن هذه الكراسة إنما هي قصة عشقه لهذه الفتاة التي غرقت.

أما قصة (الشيخة عطية) فتحكي عن امرأة تعلم في «الكتاب» سور من القرآن الكريم، لها ابنة أكملت المرحلة الابتدائية، فصارت تحتاجها لتعليم الأطفال، إلا أن ابنتها ناجية تزوجت شخصاً وهربت معه. وهذا ما جعلها تلجأ إلى حي الصالحية، حيث أقامت الزوايا والمدارس، جاءتها ابنتها لتقرأ السور والأوراد والسيرة النبوية بصوتها الحنون، ثم صارت تغني أغاني عاطفية، مما أدى إلى ابتعاد المريدات عنها، أخيراً استغنت الشيخة عطية عن ابنتها وعادت إلى حرفة التعليم.

قصة (فاتها القطار) تتحدث عن هاجر أكبر أخواتها، كانت مجتهدة تعتمد عليها المديرة لضبط الصف في حال غياب المعلمة، أقسم الأب ألا يعلّم أختيها سعاد ومليحة، وأن يزوجهن، ولهذا وفر لهن الزينة والدلال ، أما هاجر فكانت مهملة على الرغم من خدمتها في البيت، تزوجت الأختان، وحضرت هاجر عرسهما، ولم تحقد عليهما. كان في قلبها غضب على الأقدار. غيرتها حولت حياتها؛ وغدت تحلم بعريس لم يأت ، أهملت نفسها، ومع ذلك قررت أن تعطي دروسا خصوصية، مما جعلها تحسُّ أنها إنسانة فاعلة، وهذا بدوره أثر إيجابا على سلوكها وحياتها.

قصة (طاسة الرعبة) هي الطاسة المكتوب عليها بعض قصار السور، تعتبر حرزاً في البيت، فإذا حصلت رعبة لشخص ما يسقونه منها، ليعود إلى ذاته، وهذا ما حصل مع حفيظة التي رأت شيئا أسود خرج من بركة الماء، وقفز إلى صدرها، وتبين أنها ضفدعة.

هناك قصص الشخصيات كما في قصة (الهارب من جلده) الذي لم يعجبه لقب المعزاية، لأنه لا يمثله، فهو طالب مجد ونشيط في المدرسة ، وحصل على إجازة في الحقوق، فكانت أول مرافعة له دعوى أقامها على ممثل النفوس، طالبه فيها أن يغير لقبه، ويكنى باسم أبيه صياح، فاز بالحكم.

أما قصة (العريف رقم 7) المخلص لوطنه، فقد ظلّ صامداً في خندقه على الرغم من البرد، والأعداء الذين يرمونه بالرصاص. عاش عند عمه بعد وفاة والديه، أحب ابنة عمه نظمية وخطبها، إلا أن شخصاً آخر كان يلاحقها، خطبها فرفضته، ووافقت أن تتزوج ابن عمها، لكنها عادت وقررت أن تتعلم مهنة إسعاف الجرحى، وألا تتزوج.

قصة (الشيخ عبود) الذي يلقي درسه بعد صلاة العصر، حيث يتحلق حوله تلاميذه، ومنهم فتى وسيم لفت نظر الشيخ وفتنه، و لئلا يفتن ثانية أوصى أن يجلس هذا الفتى خلف السارية، إلا أن الفتى عندما أبلغه الشيخ نظمي انسحب. الشيخ عبود لم يره في اليوم الثاني، سأل بلهفة وشوق عنه، فقال له الشيخ نظمي: إن للفتى أختاً جميلة مثله، ما عليك إلا الزواج منها، وهذا ما حدث. أما قصة (رشيد المولوي) فتحكي قصة رقصة المولوية التي تعتمد على الدوران وإظهار مهارة ورشاقة الراقص . التحق بها نظمي الذي سبقه إليها رشيد المولوي ؛ الذي عاش في شمال سورية مكرماً، فاستولى على كثير من الأوقاف، أما نظمي فلم يصبه إلا الفتات، تجول في المدن السورية وأريافها ثم قصد بيروت، دخل إلى متجر سعد الطوراني ليتعشى عنده، فطلب أن يأكل ما طبخه التاجر. في كل مرة يطلب ما طبخه التاجر، فتعجب التاجر وأكرمه.

تحكي قصة (النساجون الثلاثة) عن أبي دلال البخيل والمتعلق بنوله، والذي يضيف إلى رصيده ليرة ذهبية كلَّ أسبوع، علاقة شاهر مع أبي دلال البخيل ومراقبته له، لأنه يريد دلال التي رفضته، أما أم وهيب فتريدها لابنها وهيب الموظف الصغير، الذي ظفر أخيراً بها.

قصة (الكلاليب) دالة على فئة تقوم على تغسيل الميت وتكفينه ودفنه، لقاء أجر، وكذلك على بعض الأعطيات الخاصة بالصدقات والتوزيع عن روح الميت، ومسألة إسقاط الصلاة عنه.

الناحية الفنية:

القصص تعبير عن أوضاع اجتماعية ومالية، مكتوبة بشكل متسلسل إلا من بعض الذكريات، كما في العودة إلى الماضي في قصة (أقوى من السنين) يوم رفضت المعلمة الذين تقدموا لها، في الوقت الذي فاتها فيه القطار، فلم يعجب أمها أحد من المتقدمين لخطبتها، في حين كانت جنة أحلامها مدرستها.

وتبدو العودة إلى الماضي في سرد قصة (العريف رقم 7) من قبل أحد رفاقه، فقد نشأ حمدان في رعاية عمه الذي كفل تربيته؛ بعد موت أبيه لاحظ سرد قصة حياته في الصفحتين 39 و 40.

ونرى مثل هذه العودة في (الربيع الغريق) حيث قصة الشخص الذي أحب فتاة، كانت تجلس في منتزه الميماس.. صار يجلس في هذا المنتزه يتذكرها، ويبث أشواقه وآلامه لنهر العاصي الذي اغرقها.

ثمة بعض القصص التقليدية في هذه المجموعة، أشبه ما تكون بموعظة أو بدرس كما في قصة (الشيخ عبود)، أو قصة (الربيع الغريق) المليئة بالدراما.

الوصف:

استخدمت القاصة الوصف لتظهر الجمالية في قصصها، أو لتعطينا صورة عنه، كما في وصف الليلة الممطرة في بداية قصة (العريف رقم 7) صفحة 37، ووصف هاجر في قصة (فاتها القطار) صفحة 116. ووصف المولوية ودورانها في قصة (رشيد المولوي) في الصفحتين 71 و 72. اقتطف المقطع التالي: (ولما حلّ وقت الذكر أخذوا يدورون على أنفسهم، وقد أمسك كلٌ منهم بيد الآخر. وتشابكت الأصابع خلال الأصابع، وتزاحمت المناكب، فإذا ما كان من ثيابهم الدانية إلى الأرض صار مستديراً وسيعاً، كأنه المظلات وقد خيل إليَّ أن رحى تدور أمامي ، فهم قد انفلتوا على أعقاب أقدامهم دورات وعلى إيقاع وأنغام حتى ترتخي أيديهم وألسنتهم، مكررين بصوت ضعيف واحد ياهو يا هو...)

ووصف البيت في قصة طاسة الرعبة: (وخرجنا من القاعة الواسعة التي بقيت سليمة في بنائها وزخرفها لم ينل منها القدم، وقام سقفها العالي على أعمدة من رخام توهج بياضه بلون الشفق، وانعكس شعاعه على المقاعد المطعمة بالصدف الناصع، وعلى البركة المصنوعة كالفسيفساء. وقد ازدانت حيطان القاعة بالخزائن الملتصقة بها، وكانت مزخرفة بالأيدي الدمشقية التي اتقنت صنعها.) صفحة 61 وكذلك وصف طاسة الرعبة وغيرها من الأوصاف في بعض القصص.

لاحظت أن معظم نهايات القصص هي النهايات المتوقعة، النهايات السعيدة، ومثل هذه النهايات كانت دارجة في القصص وفي الأفلام العربية. من هذه النهايات السعيدة نهاية قصة (أقوى من السنين) حيث توجت بالخطوبة والحياة المشتركة، وكذلك نهاية قصة (الهارب من جلده) الذي كان مستاء ومتألما من لقبه (معوض المعزاية)، فهو يرى أن أبناء دمشق يأخذ الكثير منهم كنيته من عمل والده، وبما أن والده نجار، فهو يستحق لقباً وكنية غير كنيته خاصة وأنه طالب مجتهد، توصل إلى المحاماة، وكانت النهاية تغيير كنيته لتصير على اسم أبيه صياح.

النهاية السعيدة في قصة (النساجون الثلاثة) وخطوبة دلال لوهيب، ونهاية قصة (شقاء محبوب) حيث كانت صبحية سعيدة بولاداتها وبتزويج بناتها، وكذلك نهاية قصة (خبز الغد) بحصول الأم على كتاب من المختار، تحصل بموجبه على الخبز بالثمن الرخيص.

ونهاية قصة (الشيخ عبود) وزواجه من أخت الفتى الذي أعجب الشيخ به، ونهاية قصة (فاتها القطار) بزواج الأختين، أما هاجر فقد كانت نهايتها سعيدة أيضاً على الرغم من عدم زواجها، وهي التعليم والدروس الخصوصية. استطاعت الأديبة وداد سكاكيني بمجموعتها هذه وبغيرها من المجموعات والكتابات المتنوعة أن تكون من أوائل الذين كتبوا القصة القصيرة في اربعينيات القرن الماضي.

أقوى من السنين مجموعة قصصية للقاصة وداد سكاكيني إصدار اتحاد الكتاب العرب دمشق عام 1978 ضمت المجموعة كلمة للحقيقة والتاريخ بقلم الكاتبة، وأربع عشرة قصة في 132 صفحة من القطع فوق المتوسط.

المثبت والمحذوف في قصائد (ما تأخر من القول)

• د. قيس كاظم الجنابي

1.

تضمنت مجموعة الشاعر حميد سعيد الأخيرة (ما تأخر من القول)، الصادرة عام 2019م، القصائد للسنوات (2016-2019م)، وهي محمّلة بإحالات واضحة الى الكلام / القول وروايـة الأحـداث؛ ذلك أنّ القول يعني التقديم بوساطة الراوي الذي يعوض عن عرضه للأحداث والحوادث بشكل درامي ومباشر، يتكلم عنها، يلخصها. التخييل القصصي (الشعرية المعاصرة)؛ شلوميت ريمون كنعان، ترجمة لحسن إحمامة، دار الثقافة (الـدار البيضاء، 1995م)، ص158 .

والشاعر فعلاً يري ما يعانيه في الوقت الحاضر من غربة / نفي بعيداً عن بلده بعد تقدم السن به، حيث صار العكاز صديقاً حميماً له، وهو يشير الى عكازه بوضوح، كعلامة فارغة للشيخوخة، أو العجز؛ فالعصا في الشباب لها دلالة ذكورية، تشبه دلالة الأفعى لدى العبرانيين، لأنها قادرة على الاجهاز على ثعابين السحرة، وحين تصبح عكازاً تضمر دلالتها الذكورية كما تضمر قوة الانسان، فهي تعوضه عن نسيان أصدقائه وأحبته له من الذين فارقوه قبل نصف قرن، والشعر يقدم الرسالة / القول للناس، يدعوه لقراءة الحاضر، وتدبر الماضي واستحضاره فهو يحمل معه ما تأخر من الكلام، وما بقي في جعبة الحاضر من مخاوف وأوجاع.

حميد سعيد في مجموعته هذه يعاني غربة المكان ووطأة الزمن، في آن واحد، وثمة فراغات كثيرة في هذه القصائد على القارئ أنْ يملأها حتى يكتمل القول / الكلام، في سيرته الشعرية هذه، فهو يتردد على المشافي لمراقبة صحته، وعلى المقاهي يبحث عن أصدقائه الذين غدو عجائز وما عادت الذاكرة تستدعي صورة الشباب الأفل ؛ فقد تغيرت الظروف وتفاقم صمت الأحداث، وتلاشت الأحلام على قارعة الانتظار، وهموم الحياة ومتاعب العمل كلها تضغط.

الشعر في هذه القصائد يترشح مثل قطرات ماء من الكوز ينذر بخواء المستقبل، وتكاثر الجراحات، الجمل الشعرية مقتضبة وبعضها ناقصة، سقطت بعض مفرداتها في زحمة الإنثيال، والقصيدة لدى حميد سعيد مشروع لم يكتمل بعد لاستدراج الأوجاع المريرة، الشاعر ليس وحده، معه صداقات ومحبات قديمات ما عاد يتذكرهن، وكأنه يقول لهن ليس لي وقت لإعادة الذكريات، أو لارغام الزمن على العودة على أصح تعبير.

2.

تتردد شخصية المسن، على المشفى وتغادر المقهى، يحلم أو يتوهم بلقاء امـرأة، والقول لديه جزء من تاريخ يتأرجح بين الحاضر والماضي، تتكون قصيدة (رجل السبعين.. وسيدة في....؟) من عشرة مقاطع، وفيها تبدو المرأة شبه مجهولة في حياتها، تسير فيها القصيدة كالحكاية من البداية حيث يلتقيان في المشفى، وتبقى الكثير من الأفكار مجهولة مجرد نقاط، وثمة أسئلة كثيرة أجوبتها مؤجلة، هي ما تأخر من القول، حيث يقول:

غادرتِ المقهى..
فتذكرتُ خفق عباءتها..
ابتعدت..
شخنا.. وتغيّرت الدنيا
الاّ خفق عباءتها.. ظل كما كان ص 9/ دار دجلة، عمّان 2019م

يبدأ هذا جزء من المقطع، بضمير الغائب(هو)، ثم ينتقل الى ضمير المتكلم (أنـا)، ثم يعد، وثمة حوار داخلي مضمر هو (شخنا.. وتغيّرت الدنيا)، يستعين بالأقربين منه لمعرفة حاله، حيث يكون القول من نصيب جارته، ويحدث أن يتسرب الحديث الى الأعماق (وكنت أمشط شعري)، وهو الآخر يتذكر أيام البرد في بغداد، والفراغ الذي عبرت عنه عنوانات القصائد وبعض المقاطع تعبير عن تداخل اللقطات/ الصور / الأصوات، وجزء من الحكاية الشعرية، كما في المقطع الثامن، حيث يقول:

ثمَ تخيله.. امرأةً
أعطاها إسماً..
واختار لها زمناً.. وحكايات
كان يقول.. لماذا لا تسأل عَني؟ ص13
كما أنها كانت تقول له إنها رأته في المقهى، فيجيب:
بلى..
ماذا تنتظرين..
من رجل بعد السبعين..؟
ص 14

وتنـتـهي الـقـصـيـدة في لقطة وهمية حين يحييه، فلما يستغرق في وهمه هذا، ينبهه النادر، اذ تبدو أمكنته قليلة غالبها (المقهى، الشارع، المشفى)، وشخصياته كذلك قليلة (هو، المـرأة، النادل) مع بعض الشخصيات المكملة لـهـا، ويـبـدو المـطـروح على الـطـاولـة أقـل مـن المصـرّح بـه عـلـى طـاولـة الـتـذكـر/ الوهم / المحـذوف. كلماته وجمـلـه بسيطة، معروفة وليس فيها تعقيد ولكنها أشبـه بشـفـرات/ حكايات / استذكارات عن الماضي تسرد في الزمن الحاضر، معادلات متداخلة ومحاولات متعددة تكشف المضمر من القول من خلال القراءة، والقراءة الأولى تبدو ادهاشية؛ بينما تبدو القراءة الثانية معرفية غايتها معرفة صوت الشاعر عن أصوات الآخرين، والقراءة الأخرى تندمج في سرد الحكاية الشعرية.

3.

وحين يعلم من البواب أن الله توفاها، يقفل الموت على نهاية الحكـايـة، فلم يبق لديه سوى الأحـلام والأوهام، هذا الرجل فوق السبعيني ينتقل الى قصيدة (الشيخ والغزالة)، حيث تدخل الغزالة ممثلة أوهامه لتشاركه رحلة القصيدة، فهي لها ثالوثها (الحب، والحب، والحب)، والغزالة إحالة واضحة الى الشباب والحب، وصورتها صورة معبرة عن ألق الشمس، والتعبير عن الجمال والحب، وجلّ طموحه أن يراها، ذلك أن النظر بالعين يعيد تشكيل الصورة، مثلما يرى الانسان صورة الشمس الباذخة، والشاعر يـتـرك الكثير من الصور والأفكار معلقة على طاولة الحذف، ذلك أنه حين يراها:

كما النهر حين يفيضُ..
في بيتها ينزل الدفء ضيفاً، ويسكنهُ...
إذ تطوقهُ بالحنان
وتغطي فراشاً يشاركها فيه.. بالزعفران ص 18

فلماذا يستخدم أداة التشبيه مقرونة بما (كما) حين يشير الى العلاقة بين الغزالة والنهر؟ أفي الدفء وفي الضيافة وفي الحنان؟

يعيش الشاعر غربته الحقيقية في المكان فيبحث عن الـدفء في برد عمّان، لأن الشيخ يهدمه الشتاء، كما قالت العرب قديماً، أو لأن الدفء هنا اعادة بناء وحنان أو محاولة لاستجلاب دفء الشمس من خلال اقـتـران الغزالة بها؛ وهنا لا بدّ أن نعرف لماذا اقترن الدفء في فراشها بالزعفران؟

والزعفران نبات له قدسية خاصة، مثلما له أهمية غذائية وصحية وعطرية، وله علاقة باللون الأصفر، لون الشمس قرينة الغزالة، والزعفران يوضع على بعض الأكـلات الطقسية ذات الجـذور الزرادشتية القديمة، ويستخدمه المتصوفة وغيرهم في استجلاب الحب، وابـعـاد الحسد ومواجهة فعل السحرة؛ مما يعني أن الشاعر يتوسل تلك الغزالة لكي تمنحه قدرة الزعفران على خلق الدفء والحنان والأمل.

وتبدو الجمل الشعرية لديه، مشبعة بالحاضر، جمل فعلية يشكل الفـعـل المـضـارع غـالـب صورها واحالاتها الرمزية، بشكل يشير الى أن حاضره بات مهدداً، وماضيه استحال الى مجرد ذكريات مرت تحت ظلال الصمت؛ ذلك أن جملة (لا يتذكر) ليست سوى حرائق للخاتمة، أو حرائق سياسية.

إذا كانت العكازة رفيقة عمره في قصيدته الأولى (رجل في السبعين.. والسيدة في...؟) فإنها عادت الى واجهة العنوان من جديد في قصيدة (العكازة) وهي تشاركه في محفل الصمت، يتوكأ عليها ويحاورها، لأنه يعيش غربة حقيقية، في بلاد بعيدة، وأصدقاؤه تفرق بهم الدهر، بين ميت أو عاجز، حتى صار (الفضاء

الرمادي /مـأواه)، وقد تجاذبه الوهم، فلما بلغه الحزن يسترسل ليقول في نهاية القصيدة:

هي عُكازَتي..
يستعين بـهـا.. حـين يغدو بعيداً عن الناس...
يـحـكـي لـهـا.. وتـشـاركـه الصمت.. ص24

انه يتوهم ليهرب من واقعه، ومن تأثيروطأة الزمن عليه، عبر التصورات البعيدة، ثم يصحو، وحـواره وحكاياته التي يديم سردها، تتشكل مع ثنائية الشيخ والعـكـازة، أو الجسد والعصا، حيث تعود العصا للهور بطريقة إشـاريـة مضـمـرة في قصيدة (حكاية من لا اسم له)، من خلال إحالته إلى عصا النبي موسى، لأن له فيها مآرب أخرى، كما في الإحالة الإسلامية في القرآن الكريم.

وفيما عـدا ذلـك فـإن الاشجار والنباتات، تتمثل كرموز للخصوبة، رموز للإعادة الحياة ومواجهة النفي والشيخوخة، لأن الحياة تتجدد دائماً، ولعل من أسباب شعوره بالقلق من حاضره، هو كثرة استعماله للأفعال المضارعة، لأنها أقـوى تـأثيراً في التعبير عن سيرورة الزمن، وفي قهر الألم، وبعث الحياة في ثنايا الجسد المتهالك، ولأن العكاز أداة مساعدة ولها دلالات متعددة، فإن دلالتها على العجز والشيخوخة في شعر حميد سعيد أكثر وضوحاً من باقي الرموز الأخرى، ومن تلك الرموز تضاؤل القدرات الجسدية.

4.

تشكل رموز الخصب والجمال مادة مهمة في قصائده، الخصب بكل أنواعه، فالنخلة في قصيدة (أكان له من يودعه؟)، تمثل غياب الخصوبة، وضمور الجسد، أما قصيدة (عرس الكليلو)، فهي واحدة من صور الخصب والجمال، لأن الكليلو، كما شرح ذلك الشاعر وكما نعرفه يتكاثر في وقت الربيع، فيهيج ليتصاعد على سطح الماء، لتتساقد على سطح الماء الجاري، ثم تموت الذكور حين السفاد، والشاعر يلتقط هذه الصور من ذكرياته عن جسر المسيب، الذي توجد عنه أغنية تتحدث عن انقطاع حباله وانحداره نحو الجنوب؛ مما يشير الى اجتماع الموت والولادة في آن واحد، فالنهر رمز للخصب، وهـروب الجسر ومـوت الكليلو رَمـز للـمـوت، وهـو في الغالب في قصائده يوظف الأمثال والحكايات بطريقة إشارية / علاماتية توحي بما يريد أن يقوله، كما في (عرس الكليلو، زعلة العصفور على بيدر الدخن)، وعن الأخير يقول

وهي تكتب ساخرةً منه..
لقد هجر العصفور الحقل..
فزاد البيدر.. وازدهر الحقل ص 31

ورمز الخصوبة هنا ربما يحيل الى العصفور الذي بكثرة التزاوج، فهجره للبيدر، يعني تلاشي الخصوبة، ولكن زيادة الحقل هنا لها دلالة أخرى، لأنه سيصبح مهجوراً، وربما يحيل إلى جسد المرأة التي كبرت حتى هجرت تواصها الجسدي.

تكمل فكرة (رحيل الأشياء) فكرة غروب الخصب والقوة الجسدية، التي عبر عنها في عدد من قصائدها، كما في قصيدة (العجوز اليساري) الذي لم يعد لديه ما يتذكره، فكلما تمرّ به امرأة هي رمز للخصب تسأله:

أتعرفني؟!
ويواصل ما قاله لحفيدته..
وهي مشغولة عنه.. ص88

يوحي صمت الرجل أو صمته أمام المـرأة بغروب القوى التي تحرك فيه الحنين الى الجسد والجمال، أم الشجر البابلي رمز الخصب فإنه في قصيدة (زيارات الشجر البابلي) يقترن بالنسيان والعواصف، حتى صار (خبز البلاد/ بارداً.. / وكساه الرماد)؛ وكذلك الحال في قصيدة (يوميات الشجر البابلي) حين لم تعد اللقالق الى أعشاشها؛ فقد (اختفى كلّ ما خلّق الملوك القدامى/ وما كتب الشعراء وما كان في الذاكرة)، وفي (منازل الشجر البابلي)، تقترن الرياح برمال رمادية ينكرها العشب، وهكذا يتوارى الخصب تحت ظل ضغط الشيخوخة والنفي والغربة.

5.

في القصائد التالية ثمة صراع دفين بين الشرق والغرب، ينطلق من امرئ القيس وغدر الروم به، حتى الوقت الحاضر، كما في قصيدة (امرؤ القيس.. يحاول ملكاً) حيث يموت وحيداً حتى (أنكرتـه قصيدته وحبيبته والـبـلاد)؛ فيتحول امـرؤ القيس الى رمز للملك المخذول، لقد فقد عرشه وراح يستنجد بالآخر، لكي يحقق طموحه، لكنه فشل، وحكايته تحيل إلى أنّ تهمة الخصاء كانت تطارده دائماً. « لقد ضيعه أبوه صغيراً، وكان تضييعه له بمثابة خصاء.. منذ الصغر كان أمـرؤ القيس يعاني منه عقدة الخصاء. ولهذا السبب سرق منه العبد في حكاية اللغز فحولته، كما سرقها منه علقمة الفحل. ولهذا السبب أيضاً كانت تكرهه النساء». ص36/ الكنز والتأويل، قراءات في الحكاية العربية: سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة – كتاب الأقلام (بغداد، 2013م) .

أما سبب اغتيال أمـرئ القيس، فهي غير مقنعة، وخصوصاً اذا علمنا أن الاغتيال حصل بسبب عشق بنت قيصر الروم له، لأن من الأسباب المقنعة التي تدحضها هو غياب اللغة المشتركة بينهما، وصعوبة الاتصال بها، ومن هنا كانت الحكاية من نسيج الخيال العربي، والحلم الرومانسي، ولكن السبب المقنع هو الرؤيا الحديثة لها، وهي إن حصلت بسبب خوف الروم من غدر العرب، أو من تنامي قوتهم، وهم يمثلون الصحراء/ المتاهة والخيول الجامحة التي لا تدركها جيوش الـروم، والشاعر حميد سعيد يحيل ضمناً الى فكرة التعاون والاتفاق بين الشرق والغرب، لأنهما ندان لا يلتقيان في غالب الأحيان، وأن الرؤية الحالية لدى الغرب بشان العرب مستقاة من كون العرب بقرة حلوب، وأنّ أحلام الملك الضليل هي مجرد (تخيّل)؛ وهذا ما تفسره قصيدة (تـأويـل الخـراب) حينما يجري استبدال الامهات بالماجنات، ولكنه لا يقوى (على القول) حين يعود الى فكرة القول، بعد أن اختفى الأمـان وغابت الألـوان، وهو يستمر في قصيدة (تأويل الغياب)، والتي تدور حول (مغنية الحي)، التي تعود بعد الغياب، بعد تغيّر الأحوال فيتجاهلها العشاق والجيران، فليس ثمة غناء ولا حفاوة به، و لا بأهله، وقد تحولت مدن البلاد الى مدن شاحبة، وهنا يتساءل:

لمن ستغني؟
ومن سيعيد إلى مدن الماء ما كان من كبرياء
وما كان من أملٍ بحضور حدائق غنّاء..
في كلّ دار
من يعود إلى مدن..

فالتساؤل يحتاج الى اجـابـة، ولكن دائـماً تبقى الاحـالات مؤجلة، حيث يهيمن الاستفهام على الجمل الشعرية، فيجعلها صوراً متشظية، مثل شظايا العطر التي تلاشت بسبب طول الغياب، وتلاشى معها جمال الحياة؛ وهذا التساؤل يستمر معه في قصيدة (تأويل الاعتكاف) التي تبدأ بقوله (أتراها؟؟)، حيث تحضر لديه الأغنية الخضراء في المشهد، والتي يسرد حكايتها عبر الاستذكار:

وجدنا مدناً منسيةً
تُبعدها آلهة الخصب عن الخصب
وتختار لها موتاً مريباً ص87

يبدو حضور صوت الشاعر بوضوح، وهو يتحدث عن مدنه المنسية، التي صار لها آلهة من الخصب، غير آلهتها المعروفة، صارت تختار لها (موتاً مريباً)؛ فالريب هنا بمعنى الشك الذي يقترب من اليقين، وهنا تساءل: لماذا اختار للخصب آلهة؟ ألأنه يريد أن يقول لنا بأن زمن الخصب قد انتهى، وحلّ محله الموت المريب؟

القـصـيـدة لـديـه تـنـسـاب مـع هـواجـس الـغـربـة والشيخوخة، حيث الاقـتـراب النهايات التـر رسمها الآخر المتسيّد، وهو غالباً ما يترك بعض الأفكار للقارئ لكي يؤولها، ويرسم صورة لها، والفراغات التي تركها ليست تعبيراً عن عجز في الايضاح، ولكنه تعبير عن بلاغة التأجيل واستشراف، يريد من القارئ أن يندمج معه، في الاستشراف، في كشف حلقة من حلقات الكلام المحـذوف وإزالـة اللبس، لكي يحصل الاقـتـراب من المجسات البعيدة الموغلة في أوجاعه وتهجداته، يحلم ولكن ليس من يفسر له أحلامه.

في أدبِ الطِّفلِ وفنِّه

•عبّاس حيروقة

بدايةً، لا بدّ من الإشارة إلى أن هذا العنوان هو لجلسة حوارية دعا إليها فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب يوم الاثنين: 12 تشرين الأول2020، وشارك فيها عدد من الشخصيات الأدبية والفنية المعنية بالإشراف على الدوريات والمنشورات الطفلية التي صدرت، ولا تزال، هنا في دمشق، والتي تحاكي خيال طفلنا السوري وقلبه وروحه وعقله.

جلسة حوارية شارك فيها كلٌ من:

الشاعر قحطان بيرقدار رئيس تحرير مجلة أسامة مُعدّاً ومحاوراً ومديراً.

الأديبة أميمة إبراهيم أمينة سر جمعية أدب الأطفال في اتحاد الكتاب العرب.

الأديبة أريج بوادقجي رئيسة تحرير مجلة شامة التي تعنى بالأطفال من عمر (4) إلى (8) سنوات.

الفنانة ضحى الخطيب التي رافقت رسومُها كثيراً من أعداد مجلة أسامة والإصدارات الطفلية، وهي عضو في هيئة تحرير مجلة أسامة.

الفنان رامز حاج حسين المشرف الفني في مجلة أسامة، وعضو اتحاد الكتاب العرب/ جمعية أدب الأطفال.

جلسة حوارية مهمة جداً، ومن الممكن أن تتحول إلى ورشة عمل دائمة الانعقاد للبحث في سبل بناء شخصية الطفل السوري وتطويرها عبر مشاريع يمكن الاشتغال عليها مؤسّساتياً بالتعاون مع جمعيات أهلية. مشاريع من شأنها تعزيز كل ما هو أصيل في ثقافتنا، والانفتاح على عوالم جديدة تأخذ بأيدي أطفالنا تجاه نوافذ النور والضوء.

جلسة حوارية أتتْ أهميتها من غير عامل، نذكر على سبيل المثال، لا الحصر، سويّة الأسئلة التي طرحها مُعدّ الجلسة ومديرها، والتي تعكس حيويته وطاقته وقدرته، لا على قراءة مفرداتَ الجمال بعين الطفل فحسب، بل قدرته على التقاط مكامن الدهشة الطفلية، والعمل على تعزيزها في النص، كما تعكس سعة تجربته واطلاعه على المشهد الثقافي المعني بالطفل، لا في سورية فحسب، بل في غير دولة عربية.

وثمة عاملٌ عكس أهمية الجلسة أيضاً، ألا وهو امتلاك المحاورين لأدواتهم، ورَدّهم على الأسئلة الموجهة إليهم بكل رزانة وثقة ومسؤولية، وقد وضعوا حال مشهدنا الثقافي الطفلي بكل أدواته على الطاولة، وقالوا هنا نقاط قوتنا التي ستُمكّننا من انطلاقات جديدة، وهنا هشاشةٌ وفجاجةٌ قد تسهم في تردّي حال طفلنا السُّوريّ وتَشوُّهها بصرياً وفكرياً ونفسياً وروحياً.

وقد أشاروا أيضاً إلى ما نعانيه من تقصير وضعف وتردٍّ مريع في صناعة أفلام الرسوم المتحركة، كما أشاروا إلى وجوب وجود حاضنة وطنية للطاقات والكوادر الشبابية، وتفعيلها في مؤسسة السينما وفي شعبة الكرتون في تلفزيوننا السوريّ بدلاً من هجرتها واضطرارها إلى البحث عن أبواب عمل في الخارج، مُذكّرين بأن الكادر السوري هو وراء نجاح أهم المحطات التلفازية التي تعنى بالطفل.

ردودٌ وضعت اليد، لا على الجرح فحسب، بل وضعت اليد وهي معبأة بالملح تماماً على الجرح، ومن ثم ضغطتْ عليه بقوة لعلّ الألم يسهم في يقظة ما، صحوة ما، ولعلّه يتطهر قليلاً قليلاً.

والعامل الثالث والأهم هو الحضور الباذخ الجميل الذي عبّر عن سعادته حدَّ الانتشاء بكل ما طُرحَ، وأثنى على المشاركين كلهم، طارحاً رؤىً واقتراحات حيناً، وأسئلة بحجم دمعةَ طفل في التاسعة من عمره، وهو يحاول أن يتهجّى مفردةً ما على ضفة نهر الفرات حيناً آخر.

بعد كل هذا وذاك من التناول الجميل والمهم لحال مشهدنا الطفلي بكل واقعيته، أجدني مندفعاً إلى أنْ أُردّدَ ما قاله ذات يوم فيلسوف ذاك الزمان «أفلاطون»: «نحن مجانين إن لم نفكر، ومتعصبون إن لم نرد أن نفكر، وعبيد إن لم نجرؤ على التفكير».

من هنا أقول: كم علينا أن نفكر! كم علينا أن نمتلك إرادة التفكير وقراره! كم علينا أن نتحرر من عبوديتنا، ونصرخ صرختنا المدوية، صرخة المحبة والجمال والسلام، في وجه الحرب والقبح وثقافة الكراهية، ثقافة أبناء الكهوف!

أُلْحِقَ بأطفالنا تَشوُّهٌ كبيرٌ ومريعٌ، تَشوُّهٌ قيميّ وأخلاقيّ وجماليّ وبصريّ وحسيّ ونفسيّ واجتماعيّ، إلخ...

أطفالنا الذين تدرّبوا في العقود الماضية على تهجية مفردات السماء ليلاً وقراءتها، ففاضت أرواحهم نوراً وضوءاً وأقماراً وشهباً ونيازك.

أطفالنا الذين تدرّبوا على المشي حفاةً على ضفاف أنهار من حنين وشوق، تأملوا حقول القمح بكل امتداداتها الخُضر والصُّفر، أصغوا مُطوّلاً إلى صوت الريح بين غابات السنديان، وأصاخوا السمع مليّاً لصوت المطر، وهو يقرع بكل حُنوٍّ نوافذ بيوتهم.

أطفالنا الذين علقت عيونهم بالسماء، وهي تلاحق بفرح أسرابَ الحمام واليمام، وطائراتهم الورقية بألوانها المبهجة.

أطفالنا أطفال العقود الماضية، أمّا أطفال العقد الأخير، ولا سيما في مدنٍ وقُرىً لا يزال الظلامُ والعطشُ شديدَين ومديدَين فيها، فإنني أتساءل:

من يعيد إليهم صفاء السماء وأقمارها والحمام واليمام؟ من يعيد حقول قمحنا وغاباتنا، والطائرات الورقية، والمدارس، والكتب، والحكايات، والأناشيد؟

جلسة حوارية مهمة، لكنْ أهمس بحياء:

كنا نأمل أن تتناول بشيء من الاهتمام حالَ أطفالنا في مُدننا وقُرانا البعيدة القريبة حدّ النبض، وما يمكن أن نعمل لأجل إعادة بعض ما فاتهم من ضوء ونور وأناشيد.

ختاماً: شكراً أولاً وأخيراً لفرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب بجمال هيئته لأنه يتيح لنا دائما تناوُل جرعات من أمل ومحبّة وسلام وسلامة.

عبد المعطي أبو زيد..!

•د.حسن حميد

أعترف،

أن ما ربطني بالفنان عبد المعطي أبو زيد يتمثل في لحظات عزيزة لا تغيب من بالي أبداً، الأولى كانت وأنا في المدرسة الإعدادية والثانوية، وقد وعيت على نفسي وهي تكابد شغفاً ما تجاه الرسم، واللوحات، والألوان، ولكنني ابن مخيم، وفي المخيم لا مكان ولا وقت للتفكير بالرسم، والألوان، أو الفنون الأخرى. كان المخيم آنذاك في عقد السبعينيات مكاناً صُمم لأن يكون بيتَ لتفريخ الفدائيين فحسب! فأي ألوان، ورسم، ولوحات، وأحلام.. يجوز لنا نحن الشبان أن نتحدث عنها. كان ذلك شبه محرم، كان طريقاً مسدوداً في البيت والمدرسة ومجالس الحديث! لكن ما لفت الانتباه إلى الرسم والألوان.. هو تلك اللوحات التي تُنشر مطبوعة على أغلفة المجلات الفلسطينية، ومنها لوحات عبد المعطي أبو زيد! لذلك اندلح الحوار حول دور الفن في الكفاح المسلح، وحول أهمية اللوحة، وقرّ رأينا نحن أبناء المخيم الطالعين الذين لا حلم لنا آنذاك سوى أن نكون كائنات جديرة بالحلم الفلسطيني، قرّ رأينا على أن الفدائيين الذين يذهبون إلى العمليات الفدائية، والذين يستشهدون والذين يؤسرون، والذين يفقدون من حقهم علينا أن نؤرخ لهم بالرسم، والألوان، واللوحات! وقرّ رأينا توكيداً أن اللوحة تشبه القطعة الموسيقية: هي لغة عالمية! وبها نقدم الفدائي الشهيد، والفدائي الأسير، والفدائي المنتظر لدوره الوطني!

ولا أخفي هنا، أننا كنا نعيش في خيمة هي البيت، ولكنه بيت لا يشبه البيوت، فالخيمة لا سقف لها، ولا باب، ولا نافذة، ولا جدران، والخيمة البيت لا أشجار لها، ولا طيور، والخيمة البيت لا مدخل لها، ولاعتبات.. ومع ذلك رحنا نرسم على أروقة الخيام، بأعواد الحطب الفاحمة، مثلما رحنا نلصق لوحات المجلات الفلسطينية على دفاترنا من أجل المباهاة والافتخار.

عبد المعطي أبو زيد، كان واحداً من فناني اللوحات الفلسطينية الذين تسابقنا وتعاركنا للاستحواذ عليها! ولكم كانت لوحته شارقة بالضوء، والألوان الصافية، يا للصبايا الفلسطينيات اللواتي كن يواقفن البيوت، والقباب خلفهن، وعلى رؤوسهن شالتهن البيض الطوال، ومن فوقهن تحلق طيور الحمام.. لكم حلمنا بتلك البيوت التي لها أبواب ونوافذ مزججة، ونباتات تطاولها، وأشجار تضيء من بين أغصانها حبات البرتقال الذهبية، ولكم حلمنا بنساء عبد المعطي أبو زيد!

تلك كانت اللحظة الأولى التي واقفت فيها لوحات عبد المعطي أبو زيد، وهي لحظة وطنية بهّارة مشمولة بحلم فحواه: هو أن نتقفى دربه الوطني!

واللحظة البهّارة الثانية كانت حين التحقت في دورة معدّة لمعلمي المدارس الراغبين بتعلم المبادئ الأولى الخاصة بالألوان وأسرارها، وباللوحة وطريقة إعدادها، وقد كانت غاية الدورة أن يتعلم المعلمون ما يراد نقله إلى طلابهم في المدارس، ولم تكن غايتها إعداد المعلمين ليصبحوا فنانين. التحقت بالدورة لكي أروي عطشاً قديماً كابدته، وأن أتطلع إلى أن أصبح رساماً، وأن يقال عني بأنني فنان المخيم!

ولكم كانت تلك اللحظة عزيزة، ورحبة، وغنية حين كان الرسّام المعلم في تلك الدورة هو الفنان عبد المعطي أبو زيد!

لقد واقفت حلمي، ورأيته رأي العين، وعشت معه وقتا كان من أعز لحظات حياتي، وقد استفدت من علمه الكثير، ولكنني خرجت من الدورة، وأنا أطوي شراع توقي لأن أكون رساماً، صاحب لوحات، لإحساسي بأن ما فات فات وغوّر بعيداً، ولأن ما ضيعته أشواق الطفولة لن تأتي به أي أشواق أخرى! ولكنني لن أنسى مصارحتي التي كنتُ أبديها أمام زميلاتي الدراسات في اللوحة، بأن أستاذنا عبد المعطي أبو زيد ليس هو من يرسم تلك اللوحات المنشورة على أغلفة المجلات الفلسطينية، وكنت أحملها معي إلى الدورة لأرها لزميلاتي، وإن صاحب اللوحات هو فنان آخر، له الاسم نفسه عبد المعطي أبو زيد، لأن أستاذنا الذي يعلمنا الرسم، أعني عبد المعطي أبو زيد، بلا شعر طويل، بلا لحية كثة، بلا حقيبة تتدلى من الكتف، بلا غليون، بلا دخان، بلا أخدية غريبة

فهذا المعلم إنسان عادي، متواضع، دائم الابتسام.. والفنان، كما قرّ في ذهني أي راسم اللوحات، هو كائن آخر تماماً.

ولم أدر حتى الآن، إن كانت زميلاتي في الدورة، قد أخبرن أستاذنا عبد المعطي بما قتله أم لا.. لأنه لم يعلق بشيء، أو لعله تجاهل الأمر تماماً.. لكي أبقى على جهلي!

اللحظة العزيزة الثالثة، كانت يوم ذهبت إلى مجلة (الطلائع) لكي أنشر قصيدة لي فيها، وقد غدوت من مقرزمي الشعر، كانت القصيدة عن (طبريا)، فقدمتها إلى المسؤول الثقافي في المجلة الذي كان يشرب القهوة بنهم، ويدخن بشراهة، ولم أكن أعرفه في شكله، ولكن اسمه كان معروفاً عندي، فهو الشاعر عدنان عمامة... كان قصيراً، داكن البشرة، فقد نصف شعر رأسه، له وجه مغلق لا يعرف الابتسام، وبقربه، وبمحاذاة طاولة يجلس صديق له، وما كنت أعرفه، لكنني وفي حواري مع الشاعر عدنان عمامة الجالس المدخن الشارب للقهوة، وأنا الواقف.. أحسست بأن صديقه يستمع بانتباه شديد لما نقوله أنا وإياه. كان النقاش موجعاً، ومبتوراً، ومتعالياً.. لأن الشاعر عدنان عمامة سألني إن كنت من طبريا! فقلت له: لا. فقال كيف تكتب عن طبريا، وأنت لست منها! فأخذت القصيدة منه أخذاً، كدت أقول عنوة، وقلت له: هذه مدينة أفاء إليها سيدنا المسيح عليه السلام، إنها مدينة الفلسطينيين جميعاً وهل المدن موقوفة على قول شعرائها فحسب! ثم خرجت. على مدخل المجلة، وأمام الشارع الرئيسي سألت رجل الاستعلامات إن كان الفنان عبد المعطي أبو زيد موجوداً في المجلة، فقال: نعم قلت: أين! فأرشدني.

فعدت، ودخلت إلى مكتب الفنان عبد المعطي أبو زيد، الذي كان مخرجاً للمجلة، فرحب بي وكأنني زميل له في الفن، وسألني عن غرض الزيارة، فحكيت له قصة القصيدة، فقال هاتها: وترقب نشرها. ونشرت القصيدة برحابة فنية أخّاذة!

واللحظة العزيزة الرابعة، كانت ذات صباح حميم، حين زارني أخي الفنان الكبير عبد المعطي أبو زيد، في اتحاد الكتّاب العرب، وهو يحمل واحدة من أندر لوحاته التي طالما تغنيت بها ومدحتها لغناها، وجمالها، وسحرها الفلسطيني الذي يفيض عن حدودها. قال بوداعته المعهودة: أخي حسن، هذه لك!

يا إلهي..

دارت بي الأرض، وأنا أكشف عنها، وارتجفت يداي، وزاغ نظري.. وقد أشرقت ألوانها، وضجّت رموزها، ودنت شمسها، وطارت رياحها بأوراق الشجر وجدائل المرآة الفلسطينية..

مثلما طارت بطير الحمام، وانفتحت الأبواب والنوافذ، وتلامعت القباب وشعّت حباتُ البرتقال!

ياه.. كم كان عبد المعطي أبو زيد في تلك اللحظة البهّارة فلسطينياً، ومعلماً، وجميلاً، وبارقاً، ومضيئاً مثل فجر طال حلمي به واستطال.

طيّر عقلي الفنان أبو زيد، إذ كيف له أن يتخلى عن درة من درر واديه الفني، وهو المعروف بحرصه الشديد على أعماله، والمعروف أيضاً بأن بهارج المال لم تفتنه يوماً ولا الصالات، ولا الفنادق، ولا بيوت الأغنياء! وحرت، وحيرني سؤالي.. لكنني.. لم أجد من إجابة عنه، إلا كلمة واحدة هي: النبل! فالفنان عبد المعطي أبو زيد.. يعي تماماً أن كل بيوت أصدقائه.. هي بيته!

يا إلهي.. كم أنا غني بهذه اللوحة.. أيها الفنان المعلم، فهي لا تنير بيتي فقط، بل تنير قلبي ودربي معاً، وكلما رأيتها، في الصباح والمساء، أشعر بأنها تقول لي: راسمي

فنان كبير، مدهش، ومقاوم، والأهم هو أدميتُهَ، وحساسيتُهُ، ونبلُهُ الفيّاضُ، وطيبتُهُ الآسرة فأقول لها: بل أيتها الزينة!

Hasanhamid55@yahoo.com

امرؤ القيس شاعر المعلقة الأولى والملك الضليل

•د. رحيم هادي الشمخي

هو امرؤ القيس، الملك الضليل جندح بن حجر الكندي من أشهر شعراء الجاهلية، بل أولهم منزلة في طبقات الشعراء العرب، أبوه آخر ملوك بني أسد، أمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب والمهلهل الشاعر والفارس الذي أصدأ السيوف في يمينه طيلة أربعين سنة بسوس وحرقة ثأر كليب لم تهدأ في روحه، سمي بالملك الضليل لعجزه عن إدراك ثأر أبيه واستعادة الملك الذي كان معقوداً لأبيه وأجداده.

ما أقصر الأحلام الجميلة

كان الزمان رخياً وامرؤ القيس لاهياً عن شجون الدنيا منغمساً في لذاتها، أبوه ملك وأمه أخت ملك وهو أصغر أخوته، الخارج عن طاعة أبيه وقوانين عشيرته، شاعر المعلقة الأولى.. يستريح على الأرائك ويأكل الشهد، يقضي أوقاته في صيد وقنص وجلسات سمر وشعر.

وفي حاله هذا جاءه تابع أبيه، وقف على مقربة منه وهو يلعب النرد مع أصحابه، ونظر إلى الرجل الذي حمل معه سيف أبيه ودرعه وجواده وقدوره، ولكن أين حجر بن أكل المرار الذي وضع الرقاب تحت السيوف أين؟

قال الرجل، مات الملك.. قتل بنو أيد أباك؟

وجم الجميع وساد الصمت، ثم قال امرؤ القيس لأصحابه لنواصل اللعب ثم تمتم ساخراً..

ضيعني صغيراً.. وحملني دمه كبيراً، لأصحو اليوم ولا خمر غداً اليوم خمر وغداً أمر.

الوداع يا ليالي العشق ونزقات الشعر ولم يبق غير قتاد الروح، ودون أن يسأل الرجل، قال له: وصية الملك أن لا أسلم درعه وسيفه لمن يجزع ويبكي وأخوتك الأربعة بين باك ولاطم ونائح كالنساء!

في البدء تخيل الأمر من خداع النفس أو من أحلام ليالي السكر، لكنه بدأ يفيق ولابد من إدراك الثأر، وأخذ يستعيد الأيام التي عاشها والذكريات التي توارثها من أيام جده أكل المرار الذي دانت له الرقاب.. ثم شرح يقرأ مطلع قصيدته الأولى التي اعتلى فيها شعراء المعلقات:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى
بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال

استرجاع لماضي الزمان..

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد في كنف أبيه من بني أسد وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب، يعاقر الخمر ويغازل الحسان، وأنه أنفق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك حد الصراحة في الفحش منصرفاً عن أرث أهله واعتداده بالملك وقيادة الشجعان، فكرهه أبوه لذلك وزجره عن اللهو ولما فشل في إطاعته لما يريد طرده وأقصاه عن الديار، فالتف حول امرؤ القيس بعض ممن يحبون شعره ويرغبون مشاركته في الصيد واللهو

وقول الشعر.

إنه الثأر ولا فرار منه..

وما بين هول الفجيعة وإغفاءة السكر قال امرؤ القيس لندمائه..

-إن الشجا يبعث الشجا والدماء لا تريد أن تجف، قسم جدي قبائل العرب بين أبنائه، قسم بينهم ميراث الكراهية وجعلهم يحلمون بملك العرب كما كان جدهم الأكبر أكل المرار، في الأمس قتلوا الحارث بن عمر بعد أن نهضوا من ذل الأسر وفداحة الأتاوات واليوم دارت الدوائر مرة أخرى على ابنه (حجر) بعد أن أمعن في القتل طلباً للثأر وإذلال القبائل.

وسط هذه الدائرة من الدماء كنت أهرب من الجميع وأحاول أن اوهم نفسي أني لست منهم، لا ظل لي ولا جذر بينهم، قال لي أبي يوماً: أنت تقول الشعر وهذه صفة تأنف منها الملوك وصاح في قومه غاضباً.. كيف نرضى بمن يصاحب السكارى، كلهم لفظوني، نزعوا مني صفة الإمارة دون أسف!

ولكن الجذور هي الجذور.. وهذا ميراثي، أب مقتول، وعرش لا أريده وثأر ثقيل الوطأة.

وبدأ ينظر إلى ما تركه أبوه، خمسة دروع يتوارثها ملوك كندة ملكاً بعد ملك وسيف وجواد وبعض القدور.. أهذا أنت يا حجر ابن أكل المرار.. وصرخ بالثارات الملك.. سارت كندة وبكر وتغلب خلفه طلباً للثأر، واختلط صهيل الخيول بصليل السيوف وتناثر الدم يملأ الوديان.. بنو أسد لم يكونوا فريسة سهلة والصحراء مغارة كبيرة ومن سار خلف امرؤ القيس من فرسان كندة وبكر وتغلب يكرهون الملك المقتول، وفي صباح أحد المعارك رفضوا اللحاق ببني أسد ومقاتلتهم.. وقالوا لملكهم المنتظر لقد أصبحت ثأرك.

ولكني لم أقتل قتلته، وتركوه وحيداً مع الجثث ونعيق الغربان، ولكنه ثأر أبي والعرش الذي أكرهت عليه، إنه قدري الذي لا مفر منه..

وأخذ يستجير بالقبائل الواحدة بعد الأخرى وتقع من أجله حروب عدة، وبدأت رحلة التردي، من صحراء إلى جبل ومنه إلى مغارة إلى فخ جديد وما أضيق الصحراء في وجه المطارد.

ثم نزل في فزارة عند جابر بن مازن، وكان حكيماً فأبلغه حقيقة هامة، أنه لا قدرة له على مقاومة الذين يطلبون دمه وقال له: إني أراك في ضل من قومك وأهل البادية أهل بر لا يملكون حصوناً تمنع الأعداء من الوصول إليهم وليس لك الأبلق حصن السموأل ببلدة تيماء.

وكان الرجل كريماً، رحب به وسمح له بالإقامة لكن الحصن مكتوم الأنفاس يختنق الشعر ويتطاول الليل فيه ولابد من الرحيل، وأودع ابنته ودرعه وسيفه عند السموأل.

إلى أين؟ إلى الشمال

واستنجد بقيصر الروم فأكرمه ومنحه إمارة فلسطين، ولكن ماذا أفعل بالإمارة، أريد ثأر أبي واستعادة عرش ملوك كندة، وأعد له جيشاً لتحقيق هذا الأمر، لكن امرؤ القيس في رحلة التردي هذه لا يعرف ماذا يفعل وعاد الجيش قبل أن يغادر أرض الروم، وقفل الملك الضليل راجعاً وحده وقد اشتدت عليه القروح، ومات ودفن في أنقرة قبل الهجرة بمئة عام تقريباً.

شاعر المعلقة الأولى

يعتبر امرؤ القيس رأس فحول شعراء الجاهلية المعروفة أخبارهم، وإن كان مسبوقاً (بزمان قول الشعر) بشعراء مثل أبي داوود الأيادي وخاله المهلهل بن ربيعة، إلا أنه سبقهم في طرق كثيرة من أبواب الشعر، والإفاضة فيه، فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصحب، وبكاء الديار، وتشبيه النساء بالظباء وألمها وفي وصف الخيل بقيد الأوابد، وتقريب مأخذ الكلام وتجويد الاستعارة وتنويع التشبيه، ويغلب على شعره التشبيب والوصف أيام صبوته وبث الشكوى من الزمان وتنكر الخلان زمن محنته!

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى علي بصلبه
وأردف إعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الأنجل
بصبح وما إلا صباح منك بأمثل
فيالك من ليل كان نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيبذل

وشعر أمرؤ القيس غلبت عليه حياة بالبداوة في جفاء العبارة وخشونة الألفاظ وتجهم المعاني لكننا نراه ينتقل من حسن الديباجة وبديع المعنى إلى مقاومة الوصف وسهولة المأخذ، مما جعل الشعراء الذين خلفوه يحاكونه في رقة قصائدهم:

وإذ هي تمشي كمشي النزيف
يصرعه بالكثيب البهر
برهرهة ودة وخصة
كخرعوبة البانة المنفطر

ومن أبياته المعروفة:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزان
فإنك لم يفخر عليه كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
وقد طوفت في الآفاق حتى
رضيت من الغنيمة بالإياب

وأخيراً لابد لنا وأن نقول أن الشاعر امرؤ القيس قال في غربته:

أجارتنا إن المزار قريب
وإني مقيم ما أقام عسيب
وأجارتنا أن غريبان ها هنا
وكل غريباً للغريب نسيب

صالح علماني جسر الإبداع الإسباني للغة العربية

•رشاد أبوشاور

لا يمكن تحديد تاريخ باليوم والساعة لنشوء صداقة، فالصداقة تنبت، في وقت ما غير محدد، خضراء، وتنمو وتعلو وتعرّش بفروعها المثمرة.. وتخصب، وتستمر بما ينميها من حوار، وتأمّل، ومشاركة خصبة، لا بالمجاملة، ولكن بإغناء الرؤية المشتركة بالحوار الغني الدائم.

هكذا هي صداقتي مع صالح علماني.

أقمنا معا جارين، بعد تعارف سريع في شوارع مخيم اليرموك، في شقتين لبنايتين شبه متلاصقتين، من مباني (الحجر الأسود) العشوائية المتواضعة، على (الضفة المقابلة) لشارع الثلاثين الذي يمر بين مخيم اليرموك ..والحجر الأسود، ويصل بينهما.

بالجيرة تعززت صداقتنا، فنحن نلتقي يوميا. نجلس في النافذتين المتقابلتين، ونشرع في أحاديث شتّى، ومن تحتنا يمر الجيران المقيمون في البيوت الأرضية في الدخلة المغلقة، وأنا أتمازح مع صالح عادة:

أخشى ان كلامنا يجرح رؤوس الجيران العابرين بسقوطه عليها.. فيضحك(للصورة) المعنوية، ونواصل أحاديثنا التي لا تنقطع، والتي تتشعب في مواضيع شتّى.

دائما لديه مشاريع ترجمات، هو المفتون بماركيز، ويوسا، وبغيرهما من كتاب وشعراء وقصاصي أميركا اللاتينية، والذين يحكي لي عنهم كأنه يعرفهم عن قرب.. وبعضهم بينه وبينهم تواصل بشأن ترجمة أعمالهم للعربية.

يخرج صالح إلى العمل مسرعا، ونظره مصوّب أمامه، لا متعاليا عن الناس، ولكن ساهما شارد التفكير، لأنه منهمك في ترجمة عمل روائي لواحد من كتاب أميركا اللاتينية، الذين سخّر حياته لنقل أهم وأبرز أعمالهم للغة العربية، لا لمنفعة شخصية مادية، ولكن ليفتح عيون الكتاب والقرّاء العرب على إبداع مدهش، منشئا جسرا وطيدا بين تلك الثقافة، ثقافة أميركا اللاتينية، والأدب المكتوب باللغة الإسبانية، والثقافة العربية.

صالح حدد مهمته ودوره كمترجم (مبدع): أنا أحمل رسالة.. وهذا هو دوري، لذلك بنى صالح وأعلى البنيان: رفوفا من الروايات، والأعمال المسرحية، والقصصية، والشعرية. وبات صالح مؤسسة تتكون منه، برعاية زوجة متعلمة مثقفة مخلصة له لمعرفتها برسالته الجليلة.

عرفته قبل أن يشتهر، وتابعت مسيرته بإعجاب وتقدير، وهو حكى لي مطولاً عن كتاب لم أسمع بهم، وعن أعمال يرى ضرورة نقلها للعربية، ولأن همّه كبير فقد حرص على الوقت، ووظفه لخدمة (مشروعه)، فهو يخرج صباحا للعمل، ثم يعتكف في البيت، فحياته العامة محدودة، وجانبها الذي يحرص عليه: زيارة أهله.. وأهل نادية زوجته.. أحياناً.

ذات يوم، وكنت أزوره في شقته، ولم يكن قد اشتهر بعد، وإن بدأ يلفت الانتباه بترجماته، تمنى لو أنه يجد ناشرا يصدر كتيبا لطيفا ترجمه عن الشاعر التشيلي الكبير بابلو نيرودا.

كنت أعمل في بيروت، وأسرتي تقيم بجوار شقة صالح، في الحجر الأسود، وكنت أحضر كل اسبوعين تقريبا للالتقاء بأسرتي، وفي بيروت تعرفت على أبرز الناشرين، فعرضت على صالح أن أحمل الكتيب و(أتصرف).

في بيروت زرت المؤسسة العربية والتقيت الدكتور عبد الوهاب الكيالي، مدير عام الدار، المؤرخ والمثقف الكبير، الشهيد فيما بعد غيلة وغدرا، و(قدمت) له الكتيّب، فأوعز فورا بنشره...

وقعت الحرب على لبنان.. وبعد معركة بيروت 1982 غادرت مع المغادرين على السفينة (سولفريني) إلى تونس، وفي اليوم التالي عدت بالطائرة إلى دمشق، وفي مقدمة من زارني مهنئا على السلامة كان صديقي صالح علماني.

أخذنا الحكي بتفرعاته، فتساءل مندهشا عن كتيب نيرودا، لأنه لا يعرف كيف أضاعه.

رددت على تساءله متشككا: يا صالح.. ألم تسلمه لي للعمل على إصداره في بيروت؟!

رد بحزم: لا.. لا.. لو كان الأمر كذلك لتذكرت.. لا، يبدو أنني أضعته.

ذات يوم، وكعادتي عند مروري بمكتبة (النوري) الكبيرة في دمشق، وهي أيضا مركز لتوزيع الكتب في سورية، دخلت، وبدأت في تقليب الكتب، فإذا بالمفاجأة: نيرودا.. ضمن سلسلة أعلام الفكر العالمي، وعن منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

حملت نسختين من الكتيّب، وعدت لأفاجئ الصديق صالح بالكتيب الذي اعتبره ضائعا.

فتح الباب وهو يفرك عينيه – كان يتوجه للعمل في وزارة الثقافة متأخرا أحيانا – وأشار لي أن أدخل. اختفى قليلاً وعاد وقد غسل وجهه وتنشط.. وفاحت رائحة القهوة التي يحملها على صينية وضعها على الطاولة، وتساءل: شو.. مش رايح على الشغل؟

وضعت أمامه نسختي نيرودا فحملق مندهشا: غير معقول.. أنا نسيت أنك عرضت علي حمله إلى بيروت.

حاليا أنا نسيت ما رقم (نيرودا) في سلسلة ترجماته، ولكنه بالتأكيد من أوائل ما ترجم.. وهو عندما رحل إلى (إسبانيا) التي استضافته بعد أن تشرّد عن بيته في (العضمية) التي رحل إليها بعيدا عن ضجيج حارة (إيطاليا) – أنا منحتها هذا الاسم للضجيج والصخب المزعج ليلا ونهارا فيها- ليترجم براحته في جو هادئ.. كان قد ترجم عشرات الأعمال الأدبية.

في آخر زيارة له في بيته في المعضمية أهداني كتابا فخما، هو(الديكاميرون)، وأخبرني: ترجمته عن الإسبانية، التي ترجم إليها عن الطليانية، وهو الكتاب الوحيد الذي لم أترجمه مباشرة، ولكنني فعلت هذا الأمر لأهميته.

عندما ترجم (مائة عام من العزلة) رواية ماركيز الذائعة الشهرة، وضّح لي الأمر: في الترجمة السابقة عن الفرنسية هناك بعض المآخذ، لذا ترجمتها عن

حوار مع الشاعر حسين الحموي

• رؤى حيدر

الإسبانية مباشرة...

بعد انقطاع، وقلق على مصيره وزوجته – ابنه عمر يدرس ويعيش في إسبانيا، وابنته لارا تزوجت وتقيم مع زوجها في تونس - التقينا في عمان.

فوجئت بصوته عبر الهاتف، وسألته بلهفة: أين أنت؟ ضحك وأجاب: على بعد مئتي متر من بيتك: أين؟ عند لارا ابنتي...

ثم عرفت أن لارا تعيش على مقربة منا، وأنها حضرت من تونس مع ابنتيها.. لأن الكبرى مصابة بالمرض الخبيث.. وصالح حضر ليكون قربها وحفيدتيه، فزوج لارا يعمل في سفارة فلسطين في تونس ولا يستطيع أن ينقطع عن عمله طويلاً.

التقينا، واطمأننت أن أصدقاءه الإسبان قد أمنوا له الإقامة.. وأنه قد ارتاح بعد تشرّد وقلق، فهو عانى بعد انتشار الإرهاب في سورية، وبيته قريب جدا من (داريا) التي (احتلها) الإرهابيون...

علمت بنبأ رحيل صديقي صالح علماني، بعيدا عن دمشق التي أحبها وعاش فيها، وتعلّم اللغة العربية في جامعتها، جامعة دمشق العريقة، بعد أن عاد من إسبانيا، وكان انقطع هناك بعد حرب تشرين 1973، وترك دراسة الطب، وعمل أعمالا صعبة ليكمل تعليمه بعد اختياره (الأدب الإسباني).

قال لي ذات يوم: درست الأدب الإسباني، وعندما عدت إلى دمشق قررت دراسة الأدب العربي، لتكون لغتي العربية مناسبة للترجمة، ولا تقل عن مستوى معرفتي باللغة الإسبانية، وهكذا انطلقت معززا معرفتي باللغتين العربية والإسبانية...

دائما سمعت تعليقا يقرّظ ترجمات صالح: كأنها مكتوبة باللغة العربية.. أمّا هو فكان يؤكد: لم اتصرف يوما بالنص الذي أترجمه: الإخلاص للنص بالحفاظ على روحه، وفن مبدعه...

عندما رحل صالح في بلدة إسبانية، كان قد نقل إلى اللغة العربية حوالي 104 عملا منوعا، وعندما أطلقت عليه بمودة لقب (جنرال) الترجمة العربية.. ضحك كثيرا، وعلّق: ولكن هذه مرتبة عسكرية.. وأنا مترجم.. مجرّد مترجم!

إذا كان صالح علماني متواضعا، مع كل ما قدمه، فإنه مضخ.. معطاء، غيري، يفكر في مترجمين لا يملكون أمكنة تمنحهم الراحة والهدوء لينجزوا ترجماتهم. لهذا (اشترى) صالح قطعة أرض على طريق دمشق – السويداء، وبدأ ببناء فيلا صغيرة أنيقة محاطة بأرض مزروعة، وجعلها (دارا) للمترجم العربي، يجد فيها أي مترجم عربي كل أسباب الراحة والهدوء.. وعلى نفقته الخاصة، من مردود ترجماته، وبموافقة زوجته وترحيبها، فهما اكتفيا بدخل يعينهما على أعباء الحياة، ولم يفكرا في الادخار.. والتوفير للمستقبل، فابنهما وابنتهما يعينا نفسيهما، وهما متطلبات حياتهما بسيطة، ورسالة صالح المترجم يجب أن تتواصل في أجيال جديدة من مترجمي الآداب العالمية للغة العربية.

ما زال مشروع صالح قائما، وزوجته المشردة في إسبانيا.. وحيدة بعده.. تتطلع إلى يوم العودة إلى البيت في دمشق.. ومواصلة رسالة صالح بالعناية بترجماته.. وحقوقه لتمويل (دار المترجم) العربي.. التي أنشأها صالح علماني قبل أن يضطره الإرهابيون للرحيل بعيداً.. إلى إسبانيا، حيث تم تقديره، وتكريمه، على كل ما قدمه من خدمة رفيعة حضارية للثقافتين الإسبانية والعربية.

صديقي صالح علماني الحبيب: عجزت عن كتابة شيء عن مسيرة حياتك، وعن صداقتنا، عندما سمعت نبأ رحيلك، بعيداً.. في إسبانيا.. يوم 2019/12/3.. فاعذرني لعجزي عن الكتابة آنذاك، وعن فقر مقالتي هذه وتواضعها وتقصيرها.

لروحك السلام أيها العربي الفلسطيني الشريد، عاشق دمشق وياسمينها...

نحن هنا أمام فيض الشعرية بكل تجلياتها الإبداعية في أعمق رؤاها، حيث تنسرب الحروف والكلمات على شكل شلال كما القصائد التي تضيق العبارة فيها أمام الدلالات والمعاني المتشظية معبرة عن الذات الشعرية المتماهية مع بوح القصيدة التي يكتبها الشاعر حسين الحموي. ومع كتاباته النثرية باعترافه «كل ما أبدعته شعراً أو نثراً هو أنا» وهو ما جعل لقصائده عبق الياسمين. والبرق الذي يسبق الرعد. ورائحة الأرض عندما يبلل وجناتها المطر. وعذوبة تغريد طائر البلبل على غصنه بعيدا عن قفصه الذهبي، يتأهب للسفر على جناح غيمة الى فضاءات أكثر حرية واتساعاً غير مكترث بما يحد من توحده مع قصيدته. كيف لا وهو المعانق لها في الشعور واللاشعور منذ البداية وحتى النهاية. بعد أن تستقر في القلب والروح والمخيلة فكرة ناضجة تنتظر بمحبة واشتياق للانتقال من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل. أما الذكريات المعتقة، فهي تلون تلك القصائد بألوانها القزحية.

الشاعر حسين الحموي ثري الحدس والتخيُّل يقبض على أدواته الفنية والمعرفية بأصابع مشدودة. باتجاه الكشف عن أوجاع الوطن والناس البسطاء المقهورين. والقضايا الوطنية والقومية والإنسانية، وهموم الإنسان في مجتمعه وفي كل مكان من هذا العالم. بسلمية.. حيث عاد إليها الشاعر حسين الحموي مؤخراً ربما ليستقر بها، أو ليقضي بها ردحاً من الزمن. كان لنا معه هذا الحوار:

× السؤال الأول: نظمت الشعر في المرحلة الإعدادية، وفي المرحلة الثانوية تبلورت موهبتك الفنية والشعرية والرياضية فأفعم النضج كامل شخصيتك المتميزة.. فما هي أسباب اطلاق صفة السبق الزمني على الشاعر والمسرحي والصحفي حسين الحموي منذ صغر سنه؟

×× حسين الحموي: تنفست عطر الأدب منذ صغر سني في بيت مثقف، فوالدي الشيخ «علي عابد الحموي» وهو شيخ وقور وجليل ويمتلك الكثير من الكتب التي وجدت نفسي أتجول في رياضها، حيث أثارت اهتمامي وجذبتني للاطلاع على محتوياتها الأدبية والفلسفية، بالإضافة الى الأثر الذي تركه أخي الكبير «خضر الحموي» ببعض الكتب الذي يحتفظ بها كقيمة مضافة الى هذه المكتبة، فتلك الرياض الأدبية والثقافية التي أنعم بها جعلتني كالزائر لحديقة يتنفس ما بها من عطر الورد، كما أني وجدت الأرض الخصبة بتشجيع من الأستاذين المرحومين «إسماعيل عدرا» و«إسماعيل حمود»، وفي المرحلة الثانوية كان الأستاذ «أحمد درويش» وقد اجمعوا بنظرتهم لي كطالب متميز ومتفوق في اللغة العربية، فأنشأت العديد من مجلات الحائط، كما عملت في مجلة «الفكر» التي أصدرها الأستاذ إسماعيل حمود، أما الصف الحادي عشر فأخصه للذكرى المشؤومة حين استشهد صديقي الطالب «حسن خروس» أثناء قيامنا بمظاهرات طلابية ضد الانفصال السوري المصري عام 1962 م، فألقيت قصيدة كتبتها تحت ظلال أشجار الفيجة بسلمية في اليوم الثاني الذي استشهد فيه «حسن وكنا مجموعة من الطلاب منتظرين جثمانه لمرافقته الى مسقط رأسه في قرية المفكر لدفنه، حيث ألقيتها في المقبرة وكان مطلعها:

حسن أخي نفسي تصارع نفسي لأثور كالبركان من حادث الأمس

وفي حفل التأبين الذي أقمناه له في مدرسة المفكر وكان مديرها آنذاك الأستاذ الكبير «مصطفى حويجة» الذي شجعنا وتحمل المسؤولية النضالية بالدفاع عنا اتجاه مخفر الشرطة الذي أراد منعنا من إقامة التأبين بإيعاز من مدير المنطقة الذي كان سبب استشهاد الطالب حسن خروس، فأقمنا حفل التأبين هذا وألقيتُ قصيدة وطنية الى جانب الرثاء، تنطوي على قرابة ثلاثين بيتا من الشعر أذكر منها:

ثارت لواعج مهجتي بلباني
فارتاع قلبي ثم شلَّ لساني
وتفجّرت كلم الشهيد بأدمعي
حتى غدوت مضرّج الأجفان
كبش الفداء ستبقى آية الزمن
لعابر الدرب فوق الشوك والمحن
أسطورة الحب محفوظ مبرحها
بالقلب تنقلها أذن الى أذن

وحين قمت بزيارة أحد الأصدقاء منذ عدة سنوات في قرية المفكر، ذهبت الى المقبرة وقرأت الفاتحة للمرحوم الشهيد الطالب حسن، فوجدت معظم كلمات البيتين من الشعر مقروءة رغم مرور أصابع الزمان والريح عليها. وفي ذات الوقت دفعني ما أتمتع به من نشاط وحيوية الى البحث عن إنجاز مسرحي، فشكلت مع عدد من الأصدقاء نادياً رياضياً وثقافياً وفنياً اسميناه «ذي قار» في السنة إياها التي استشهد فيها حسن، فأقمنا عدة مباريات رياضية في المنطقة وفي مناطق أخرى، كما أقمنا نشاطاً فنياً متميزاً بتقديم مسرحية «ذي قار» على مسرح المدرسة الزراعية، حيث أقبل الناس لمشاهدة المسرحية هذا أفواجاً غفيرة، فهؤلاء الشبان منهم من أصبح مهندساً أو صحفياً أو ضابطاً أو طبيباً أو سياسياً مرموقاً. فأتمنى على من يؤرخ للحركة المسرحية المبكرة في سلمية أن يلحظ هذا العمل المسرحي، لكن الشيء المحزن أن الترخيص القانوني لم يمنح لنا لأسباب سياسية باعتبار معظم أعضاء مجلس الإدارة والمؤسسين والأعضاء من اتجاه وحدوي لذلك أغلق النادي بعد أن تشكل له مشجعون وجمهور شعبي عريض. باختصار شديد هكذا كانت البدايات الأولى والركائز الأساسية المبكرة والعناوين البارزة لبداياتي الإبداعية في بلدتي سلمية.

× السؤال الثاني: قمت بتلوين قصيدتك «فاطمة وطيور الفجر المهاجرة» فنياً باستخدامك للانزياح اللغوي في بناءها، هل يقود ذلك الى إحساس القارئ بالغموض والإبهام في إدراك المغزى من القصيدة؟ وكيف يبني حسين الحموي قصيدته الشعرية؟

×× حسين الحموي: إن قصيدة «فاطمة وطيور الفجر المهاجرة» هي ملحمة شعرية تصوّر الواقع العربي المحاصر والمقموع، كما أنها تعطي ملمحاً للثورة القادمة على جناح فاطمة بكل تجلياتها الرمزية والاسطورية حاملة في احدى يديها قمر الحرية، وفي اليد الأخرى بشارة لانحسار الظلمة أمام سطوع الشمس. إننا نرى في وجه فاطمة حزناً ومأساة، لكنها في الوقت ذاته تحمل وجه الأمل والفرح، كما أنها حملت من المعاني والدلالات والانزياحات والتناصات الشيء الكثير. هذا ن حيث مضمونها، أما من حيث شكلها فنقع فيها على شيء خارجاً عن المألوف، حيث الانتقال من بحر الى بحر آخر ومصادفة الجزر النثرية، وتداخل الإيقاع الخارجي مع الداخلي، وثمة بعض المقاطع الشعرية الملتزمة بالموسيقى على سبيل التوقيع الرصين وربما الموزون عروضياً..

جسدي زورقاً يحترق... وأنا قلعة من الرماد... كلما ازداد بحثي عن الضوء... ضاقت بجذعي البلاد... من يعرف الطريق الى جهة الضوء... فليدنُ من شجري

لقد قدمت رؤيتي الشعرية التي أؤمن بها، ساعياً الى تحقيقها شكلاً ومضموناً، فإنني في هذا النوع من الكتابة التي اخترت لها مصطلحاً قد لا يكون جديداً لكنه مجدداً للقصيدة الحديثة هو «القصيدة التشكيلية» التي يكون الشاعر فيها طليقاً وحراً باختيار لغته وإيقاعه بمنتهى العفوية والصدق وبمعادل موضوعي يوازي تلك المشاعر ويعبّر عنها شعرياً من حيث ينبغي أن يكون لكل شاعر رؤيته وقاموسه اللغوي واضافاته الجمالية على القصيدة الحديثة التي لا شكل نهائي لها.

× السؤال الثالث: الشعر إلهام وتجربة روحية.. ماهي الحالة الشعورية التي تنتابك عند كتابة الشعر؟ وهل تتماهى كليا مع القصيدة، أم أنك تبقى في موحلة من الوعي؟

×× حسين الحموي: لا أعرف كيف تتشكل القصيدة في مخيلتي لكنني أرف أنها تأتي دون موعد مسبق فهي من تختار زمانها ومكانها وربما أيضاً تختار موضوعها، إلا فيما ندر حين تحاصرني أفكار كثيرة احتار من أين أبدأ، وهل أكتب شعراً أم نثراً، فأحاول التدخل بحياء. أما الانتقائية فهي شبه غائبة من قاموسي الشعري إلا بعض المناسبات التي قد تفرض نفسها على المخيلة، حيث تحضرني الآن ذكرى «عيد الإمامة» منذ عشرين عاماً حينما دعيت لإلقاء قصيدة في تلك المناسبة المجيدة، فلم يسبق أن كتبت القصيدة الدينية في مراحلي الشعرية الأولى التي اقتصرت على الشعر الوطني والقومي والاجتماعي والغزلي والرثائي منها، إلا أنني حاولت الاعتذار بادئ ذي بدء من الأستاذ الشاعر المرحوم «حسين الجندي» فأصرّ على أن ألقي قصيدة بهذه المناسبة فقلت له: أشارك بكلمة، لكنه ألح على القصيدة، فقلت له: لا استطيع كتابة هذا النوع من الشعر، فإن جئتك يوم الاحتفال بكلمة نثرية فلا تعتب.. ومرت قرابة الشهر على الطلب ولم أكتب حرفاً لكن اسمي كان مدرجاً بين المشاركين بقصيدة للشاعر حسين الحموي، ولحسن الحظ أنني قبل أيام قليلة من الموعد المحدد للاحتفال انسكبت القصيدة وكأنني احفظها عن ظهر قلب.

(ذكريات من بطولات تشرين)

• د. عيسى الشمّاس

(1)
سقوط الأسطورة
سقوط أسطورة العدو الصهيوني في حرب تشرين التحريرية
جاؤوا مع الفجر الجديدْ
رأيتهمْ
خلفَ جراحات الليالي
يحملونَ النورَ في ركبٍ مهيبْ
يهزّهمْ
شوقُ حبيبٍ،
ملّ من طولِ انتظارٍ، فسرى
في غمرة الليلِ إلى،
بيت الحَبيبْ
تعانقوا
وعانقوا الترابَ، أقسموا:
أنْ تهدمَ الأسوارُ، يدفنَ الظلامْ
ويطلعَ النهارْ
ويبعثُ الوجهُ الجديدْ
مكللاً بالغارْ
×××
رأيتهمْ
يصارعونَ الموتَ من خلفِ الحدودْ
أرواحهمْ
محمولةٌ على بيارقِ النضالْ
يسطّرونَ بالدماءْ
على ثرى بلادهمْ
ملاحمَ الصمودْ
والنصرَ والخلودْ
جباههمْ ..تعانقُ السماءْ
يسابقونَ حقبةَ الزمنْ
ويمسحونَ عن وجوهِ شعبهمْ
غبارَ أيامِ المحنْ
قوافلٌ في موكبِ الفداءْ
×××
رأيتهمْ
في بسمةِ الصغارِ والكبارْ
تلوحُ في وجوههمْ
بشائرُ النضالْ
عيونهمْ تسمّرتْ
تراقبُ القضاءْ
ولحظةَ السقوطِ بعدَ إن،
تعكّرتْ نقاوةُ السماءْ
تحطمتْ..
تناثرتْ..
أسطورةُ الطغاةْ
×××
(2)
صمود الشيخ البطل
معارك جبل الشيخ في حرب تشرين التحريرية
جبلٌ يسمو شموخاً
كان شيخاً..
عافهُ التاريخُ يوماً
لم يقمْ للشيخِ وزنهْ
أتعبتهُ..
زحمةُ الأيام، لكنْ
ما استطاعتْ أن تذلّهْ
ها هوَ الآنَ شباباً يتجدّدْ
غسلَ الصبحُ بماء الثلجِ وجههْ
××××
جبلٌ يسمو شموخاً
صامدٌ، حرٌّ، يقاتلْ
سقطتْ كلُ الأقاويلِ،
وأمسى..
كلُ جلمودٍ على تلكَ الذرا،
صارَ مقاتلْ..!

إليها

• عبد الكريم شعبان

(1)
قرأتك لوعةً
فبدوت سحرا
وجبتك جنةً
فجريت نهرا
أكنت مواجعاً
سفحت.. فسالت
أم أنك جئت
قبل الفجر فجرا
أحاور فيك شخصاً عبقرياً
وانثر درَّ وجدي فيك نترا
وخيط الوجد شُدَّ
فما شجوني
وما ولهي
وكفّك صار جسراً
أمن وجدٍ
سكبت عليَّ عطراً
ومن عطرٍ
ملأت هواي عطرا
ومن ماءٍ كأدمعنا زلالٍ
رنوت غزالةً
ونظرت شكرى
أحبُّ الحبَّ فيك فأنت دربي
وأهوى ما هويت
وأنت أدرى
كُسيتُ من الهوى.. ثوباً شفيفاً
على جسد الحنين.. فكيف أعرى
أحبُّك حبَّ ذي دنفٍ.. وأدنو
إليك دنوَّ مدَّلجٍ فأسرى
حياتي حقلُ ألغامٍ.. وقلبي
ينقّل خطوه.. قبراً فقبرا
ولكن أنت وردته استراحت
على كفيه تستوفيه نشرا
فسبحان الذي أسراك ليلاً
إلى قلبي..
فراح يذوب صبرا
ومن شعري
غذوتك ذوب لحني
فأنت الآن تقتربين شعرا

(2)
مرُّوا على نبعه في البال وانصرفوا
لم يعرفوا أنهم من مائه اغترفوا
كانوا عطاشاً فروَّتهم مناهله
حتى إذا نهلوها رشفةً شغفوا
مسّ الحنين أماسيهم فهيمها
وطاف حول مآقيهم وقد ذرفوا
الروح باردة حتى إذا اشتعلت
بنار عشق شواها بارق عصف
همو همو.. وأنا فيما أهيم أنا
يحيى هواي الهوى في قلب من صدفوا
صدع يشقُّ على العقال وجهته
توافقوا حوله من من بعد اختلفوا
أما رأيتم ظباءً لا ظلال لها
تميس حول مآقيكم وتنعطف
تصيَّدوها بلا سهمٍ ولا نُبُلٍ
وأطلقوها ببال الحرف وانحرفوا
خلُّوا الجمال على أطراف أعينكم
موسّدا.. واستبينوا الحسن واعتكفوا

هل أنصف العشاق

• صبحي سعيد قضيماتي

يأتي الغرام، فنستطيبُ، ونطرَبُ
والحلمُ يزهرُ في الفؤادِ ويعْذُبُ
ونرى الحياة كما الطيور بهيجة
سرب يغني، بالشذا يتطيب
نمشي انشراحا والنجوم عرائسٌ
في روحنا، مرج القصائد يَخضب
ونموت في الحب الشجيّ سعادة
غرقى نذوب وكالها نَتَوَثَّبُ..
إن الحبيبَ كما الضياء نجلّه
إن غاب عنا فالجحيم المُكْرب
لا نرتضي بعد الحبيب فإن نبا
أضحى الفضاء وباللظى يتصبب
تمضي بنا الأيام جاد نعيمها
والعشق بحر للمكارم ينسب.
والعشق عيد للقلوب وجيبها
عطر اللقاء، وبالصبابة يُعْرَبُ.
إن كان للحبِّ السعيد شروقه
فله كذلك في الحياة المغرب.
يمضي كأن الحظ منه سحابة
قد شمرت من إثمها تتهرب
والحب يختبر الوفاء وصدقه
ويموتُ إن ماتَ الوفاءُ ويسغب
فلمَ اختفى حبٌ صدوقٌ واعدٌ
لو لم يكن جمر الهوى يتذبذب.
لهفي على حب تبدد موجه
ومضى غريباً، لا يروم ويعتب..
لولا الغرام،لما ترنّم طائر
ولما تألق في المحاسن منجب
الحب في الأرض النعيم مكارم
إن مات يفنى في الحياة الموجب.
والحب شمس نستضيء بنورها
إن غاب نور فالظلام المرعب..
والحب لغزٌ، وسع المدى أسراره
نور القلوب ضياؤه والموهب
هل أنصف العشاقَ حبٌّ صادقٌ
أم أن حظ العاشقين مخيِّبُ..

قفْ على جَبَلٍ

• صالح محمود سلمان

قال لي:
صار هذا المَدى ضَيِّقاً
يَرتدي بُردةً من أديمِ الخُفوتْ
هل سَيُسعفُنا الوقتُ كيما نُرتِّبَ أعمارَنا
وَفْقَ ما تَشتهي الرُّوحُ فينا؟!
أَتَمضي بنا الأُمنياتُ إلى أُفُقٍ شاحبٍ؟!
أم ستَحملُنا كي نَرى رقصةَ الفَجرِ
في مَسرحِ الشَّوقِ مَشفوعَةً بالأريجِ
الذي كانَ واعَدَنا ذاتَ جُوريَّةٍ
فوقَ مِصْطَبَةٍ بين تلكَ البيوتْ؟!
هل سنأتي لكي نلتقي بعدَ هذا السَّرابِ
الذي غالَ أحلامَنا؟!

قلتُ:
إنّ القصائدَ في وَلَهٍ للّقاءِ
تُوَقِّعُها نَبضةٌ من هُنا
بَسْمَةٌ من هُناكَ
يُمَوْسِقُها عندليبٌ
لَهُ ما لَهُ من فنونِ الجَنى
سوفَ نَقرؤُها ذاتَ صُبْحٍ قريبٍ
على شُرفةٍ ظَلَّلَتْها صَنوبَرةٌ من مُنى
وَعلى تَلَّةٍ يَرسُمُ السِّنديانُ على خَدِّها
لَوحةً كالشُّغافْ
وَعلى ضِفَّةٍ رافَقَتها القناديلُ رحلتَها
مُنذُ دهرٍ من الأُقحوانِ الفَسيحِ
اسْمَعِ الآنَ إيقاعَنا
في خُطا السَّوسناتِ اللواتي تَبَدَّيْنَ
في حُلَّةِ الانخطافْ؟

افتَحِ البابَ
إنّي أَرى البَرْقَ يَستَلْهِمُ العِطْرَ
أَطلقَهُ ذاتَ وَردٍ نِداءٌ
فأَضحى كما الغيمِ
أُنظُرْ إلى رَمشِهِ القُزَحيِّ
انتشَتْ من أغاريدِ ألوانِهِ أَعيُنٌ
صاغَها الحُبُّ من خُضرَةٍ عَذُبَتْ
فَوقَ تلكَ الضِّفافْ

قِفْ على جَبَلٍ
وارشُفِ الضَّوءَ من شَفَةِ الصُّبْحِ
رَتِّبْ مَواعيدَ نَبضاتِكَ القادماتِ
على وَقْعِ بَوْحِ الرُّؤى
إنَّ بَوْحَ الرُّؤى لا يموتْ ..

عندما تشتاق الأرواح

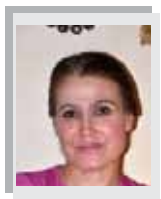

• هدى وسوف

امتدت يده برفق إلى كتفها، يربت عليها ويناديها بصوت خافت في البداية، لكنه أمام هذيانها المستمر وغمغمتها المتصاعدة، وجد نفسه مضطراً إلى أن يهزها بعنف وهو يصرخ بصوت آمر وقوي.. هناء.. هناء.. استيقظي.

فتحت عينيها، نظرت في وجهه كأنها لم تعرفه، وخلال ثوان انتفضت من مكانها دافعة يديه عنها بنزق، وجرت كالبرق إلى باب البيت فتحته، وسارعت تنزل درجات السلم، وراء طيف تناديه، تعال، تعال، لا ترحل.

كان عليه أن يستعين بكل طاقته وقوته الجسدية، ليتمكن من السيطرة عليها وإعادتها إلى سريرها، وقف قريباً من رأسها، مقطباً جبينه، ومشاعر العجز والألم تتملكه، مشاعر الخوف من احتمال عودتها لنوباتها القديمة التي أخذتها من نفسها وممن حولها لسنوات خلت، منذ عام بدأت تتعافى، تحسنت ولاحت عليها تباشير الشفاء. خفّ بكاؤها، وتباعدت حكاية استعادة الذكريات والمواقف والأحزان، الحكاية التي كان موعد سردها يبدأ كل يوم على مائدة الغداء، ليتحول الطعام إلى أشواك تعلق في الحلق ويصعب ابتلاعها.

خائف هو الآن، لا يريد لتلك العواصف أن تعود للهبوب، فتقتلع السكينة والهدوء اللذين سادا البيت في الأشهر الأخيرة.

لقد عادت ضحكتها، وامتلكت القدرة من جديد على استئناف حياتها، وتوقفت عن التوغل في نفق الانهيار والألم والدموع، الذي كان يطبق عليها ويجعلها ترزح تحت وطأته لأيام وأيام وهي لاهية عمن حولها، تخرج من غياب لتدخل في غياب..

جلس إلى جوارها على طرف السرير، محاولاً أن يهدئ من اضطرابه، وهو يشعر بالرهاب من انتكاسة محتملة، مستذكراً في لحظات، تلك الأوقات العصيبة التي كانت تستدعي منه السهر معها وعليها حتى الصباح، وهي تحكي وتشكو وتستعيد وتبكي حتى يخفت صوتها ويغيب من الحشرجة والبكاء، حتى تتلاشى من التعب وتنام.. حينها كان يدثرها كما يفعل الآن، ثم ينهض إلى عمله، رجلاً بائساً حزيناً منكسراً، مثقلاً بالوجع الذي كان عليه توريته وإخفاؤه كي لا ينهار، كان على أحدهما أن يبقى متماسكاً كي يسند الآخر.

هل كان حزنها أعمق من حزنه؟ هل كان حبها أكبر من حبه؟!

لا بالتأكيد، لا، ولم يكن وجعه أقل، هو الذي حسدها في مرّات عديدة عندما كانت تصرخ وتبكي معبّرة عما يعتمل في روحها من قهر وعذاب، في حين يجد نفسه مكبلاً بموروثاته التي فرضت عليه عدم البكاء جهاراً، بلى يعرف أنها تلك الأفكار المنغرسة في تلافيف عقله، هي التي حرمته القدرة على التخلص من مشاعر الألم التي تجتاح روحه، وبعيداً عنها وعن الآخرين، كان يطلق لعينيه الحرية بأن تسكبا ما تشاءان من الدموع..

انتظرها حتى هدأت، تركها لدقائق وعاد برفقة القهوة التي تحبها، قدّم لها فنجانها وهو يسألها: بمَ حلُمت؟ ما الذي رأيته بالتحديد؟

لم يسألها من رأت، لأنه يعرف، رغب أن يعرف تفاصيل الحلم لا غير.

ارتشفت قهوتها وردّت عليه بلغة لا تحتمل الشك، لم يكن حلماً، لقد كان هنا، ألم تشعر بوجوده؟! لقد قبّلك على وجنتك وأنت مسترخ على الأريكة، كنت تشاهد برنامجك المفضّل كالمعتاد، ضحك وقال لي: أما يزال أبي يحب هذه المذيعة؟ ثم مازحني: لا تغاري يا أمي، لنعترف إنها جميلة وأنيقة، انظري ما أحلى هذا الوشاح الأحمر الذي تلفه حول عنقها، وهذه السترة الجلدية التي ترتديها.

توقفت عن الكلام عندما لاحظت اتساع عينيه ودهشتهما، ثم تابعت.. أعرف أنك لا تصدقني، لكنه كان هنا، لقد جاء البارحة، كما جاء سابقاً، لا يا عزيزي لم أكن أحلم.

وضعت الفنجان جانباً وألقت برأسها على الوسادة ليستقر نظرها إلى الأعلى، إلى فضاء الغرفة وسقفها، وراحت دموعها تسرح بصمت وهدوء، دونما صوت أو نحيب، بينما أصيب هو بقشعريرة في جسده، جعلت شعيرات يديه الناعمة تستنفر وتشرئب مستغربا، مستهجناً، كيف تسنّى لها أن تعرف ملابس المذيعة وهي لم تغادر سريرها، هو أكيدٌ أنها لم تنهض في الليل، والبرنامج يعرض على الشاشة في وقت متأخر.

لم يعقّب، لم ينطق من فرط ذهوله، كان يمكن أن يفسر حالتها وما ترويه بأنها لا تزال تحت تأثير الحلم، أو كان سيعزو ما تقوله للأفكار التي استقتها مؤخراً من الكتاب الذي كانت تطالع به منذ أسابيع، وقد قرأت له فقرات منه، ليلاً وقت تقنين الكهرباء وانقطاعها مستعينة بضوء هاتفها النقال، الكتاب المشوق الذي يتحدث عن رحلة الروح بعد مغادرة الجسد والذي يسرد مؤلفه حكايات عدّة، عن أشخاص يتحدثون تحت جلسات من التنويم المغناطيسي، كيف كانت أرواحهم تعود لتلتقي بمن فارقوهم من الأهل والأحبّة.

كانت تقرأ له، وكان ينصت باستمتاع، ويرحل بأفكاره وأمنياته للقاء هذا الطبيب، علّه يتمكن من خلاله من التواصل مع روحين عزيزين، غاليين على قلبه، روحين أوجعه غيابهما، ويستحيل عليه نسيانهما.

كم تمنّى لو يستطيع أن يلتقي بروح المرأة التي أحبّها في زمن مضى، والتي حالت أمه المتسلطة من ارتباطه بها، لاعتباراتها الاجتماعية المتخلفة، وقد أرغمته قسراً على هجرها وتركها، وكانت النتيجة أن الحبيبة التي عزّ عليها التنكّر وآلمها الخزلان، فقدت الرغبة في الحياة وتناولت كمية من الحبوب السامّة التي أودت بحياتها.

حدث ذلك في بداية شبابه، منذ ثلاثين عاماً مضت، ليترك قلبه معطوباً ومثلوماً ونازفاً على الدوام، كانت المرأة الوحيدة التي أحبها.

لا.. لم تتمكن هناء رغم عذوبتها ورقتها أن تمحو تفاصيل امرأته الأولى، وأتت طريقة موتها لترسخ وجودها في عقله أكثر، فلقد أضيف للحب عذاب الضمير والإحساس بالذنب الذي لم يستطع منه الفكاك.

كم تمنّى لو يمنح الكون روحه فرصة الالتقاء بروحها، ليطلب منها الغفران، ليطلب السماح عن خذلانه، عن ضعفه، عن جبنه، عن غدره الذي أودى بها إلى الهلاك.. لو يستطيع التواصل مع روحها، ليقول لها إنه لا يزال يحبها وإن الموت لم يمح ما كان بينهما من الحب.

أما الأمنية الأشد عنفاً، فكانت الرغبة بلقاء روح ولده وسام، لو يمكن لروحه أن تتواصل معه وتلتقيه، ابنه الذي مضى على فقده خمس سنوات، وسام الذي لم يحتويه قبر ليزوره كما يفعل الأحياء مع أمواتهم.

لقد مرّ الوقت، لكنه لا يزال يذكر تلك الساعات والأوقات الأليمة التي عاشها هو وهناء، كم سحقهما الألم وهما يشاهدان جسد ابنهما مثخناً بالجراح والدماء وملقى على الأرض دونما احترام لحرمة الجسد الآدمي.

يعرف ما حصل تماما، كان يرسم الصورة ويعيد ترتيبها في دماغه ويهرب منها لسنوات، الصورة التي تخزُ قلبه، يعرف أنهم ألقوه مع رفاقه في حفرة، وأهالوا عليهم التراب بحقد وكراهية، لا يعرف لهما مبرراً.

حاول مراراً أن يمسح من رأسه صورة الجسد المدمّى، حاول وباء بالفشل، كان سيقول بأن هناء تهذي وتهلوس، وأن خيالها ينسج قصصاً وحكايات دافعها الشوق والحنين لولدها، وأنها وقعت تحت تأثير ما قرأت عن عالم الأرواح.

لكنه لا يجد تفسيراً لما سردته من وقائع حقيقية..

ما معنى هذا؟ هل حقاً أتى وسام وتواصلت معه؟

هل اشتاق لهم كما اشتاقوا له؟ وهل يشتاق الأموات لمن تركوهم من الأحياء؟! لماذا تراه هناء وهو لا يراه؟ هل يحبها وسام أكثر منه؟

آه لو أنه يتواصل معه، لو يراه حقيقة، ليعتذر له عن مواقف وكلمات صدرت منه ذات وقت، أوجعه كثيراً تذكرها فيما بعد، لو يلتقي بوسام ليتأسف له عن تلك الصفعة التي طبعها على وجنته إثر علامته المتدنية في مادة الرياضيات.

لو يراه مرّة أخرى، ليعبر عن ندمه عن كل كلمة جارحة أسمعه إياها معتقداً أنه يقوم بدوره كأب ومرب، كم يحز في نفسه استعادة وجهه ورأسه مطرق إلى الأرض، لا يدافع عن نفسه بكلمة، لا يرفع بصره، منصتاً للتوبيخ الذي يتعرض له.

من أين كان له أن يعرف بأنه سيفارقه، وأنه سيخسره في هذا العمر الباكر، والآن ما الذي بإمكانه أن يفعله لمن رحلوا، غير أن يتمنى لأرواحهم أن ترقد بسلام حيث هي..

يتطلع إلى هناء التي حوّلها الحزن إلى شبه امرأة تتداعى كل يوم وهي تعيش ألم الفقد لجزء من روحها.

لعلّه في هذا الصباح أدرك ما الذي يجب عليه فعله، لعلّه حلم هناء هو الذي أيقظه وكان بمنزلة إشارة كونية أرسلت إليه ليتدارك أمراً، تحسباً كي لا يقع ذات يوم نهباً للندم والأسف.

لقد رحل كلاهما الابن والحبيبة، ولن يعودا إلا في الرؤى والأحلام.. لكن هناء أمامه الآن، روح مثقلة بالعذاب، تحتاجه وعليه أن يعتذر لها.

بلى، سيفعل بصمت، عليه أن يعتذر منها لأن امرأة أخرى ظلّت تسكنه، وظلّت حيّة في قلبه ترافقه على الدوام، وتحضر في كل آن، ومع كل حركة وموقف وكلمة تقولها هناء، لتفرض المقارنة التي تجعل هناء خاسرة طيلة الوقت.

لم يكن ذنب هناء، أنها ظلّت الخاسرة في قلبه، فالمقارنة تكون دائماً لمن اختاره القلب، وليس لمن فرضه العقل والقدر وظروف الحياة.

سيعتذر من هناء، بأن يحنو عليها أكثر، بأن يحبها أكثر.

اقترب منها، ضمها إلى صدره، قبّلها، أمسك بيدها، أنهضها وهو يقول: تعالي سنذهب في نزهة إلى البحر.

نقد الفراشات، وأصدقاء العناكب

• د. جاسم محمد جاسم

في حديث لي مع أحد الأساتذة من الجيل الذي كتب عليّ أن أتتلمذ على يديه، كان مداره النقد والنقاد، قفز اسم (محمد صابر عبيد) إلى مساحة الحديث كقطة شرسة لتعلن أن لها حضورا لا يجوز استبعاده عن مساحة حديث كهذا، ومنبع هذه الشراسة التي لا تتماشى مع روح محمد صابر هو الجدل الذي طالما شكّل مجالاً يجول فيه الحديث عن حقيقة إمكاناته النقدية، فكان أن سألت – وأنا أضمر تقييماً شخصياً عن إمكانيات الرجل النقدية - : ما رأيك أستاذ بمحمد صابر عبيد ناقداً ؟. فكان الجواب: محمد صابر عبيد لاعب باللغة أكثر من كونه ناقداً، فالنقد فكرة، والرجل تقرأ له ولا تخرج إلا بالانزياحات والصور التخييلية التي تمثل ركيزة مشغله النقدي إذا جاز أن نسميه مشغلا.

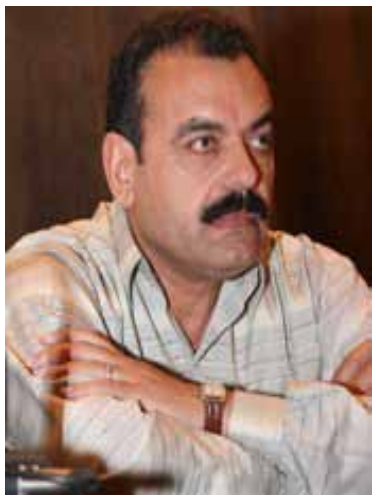

د.محمد صابر عبيد

فابتسمت لكلامه بثعلبية قرأها في ري بحيرة لا مكان للعطش في ذاكرتها، فقلتُ له، إن ما أعرفه عنك أن طبيعة ثقافتك ثقافة (رصانة) كما يحلو لك أن تسميها، وهي ثقافة يبدو أنها لا تتقبل التعامل مع النقد بطفولة وتلقائية وروح مغامرة ، فلا يهمها من النقد سوى أن فلاناً قال وفلانا لم يقل، ومن الطبيعي أنك لا ترى في محمد صابر عبيد مشارب ثقافتك التي تقدس المنهج، وتتكئ على المقول وتشتغل في دهاليز النقد اشتغالا ملتزما لكنه اشتغال يشبه غيره في طوباويته وانعزاله عن الذائقة التي بدأت تتشكل على نحو يتجاوز النخبوي إلى الجماهيري .

أرى يا أستاذ أنّ محمد صابر عبيد اليوم هو طفل النقد المدلل، الذي ثار على استبداد أبوتكم التي تتعامل مع النصوص بالسيف والسوط، محمد صابر عبيد أخرج النقد من دهاليز طوباويتكم، وأطلقه فراشة ملونة إلى حيث اللون والشمس والحرية، إلى حيث اللعب الذي ينبغي ألا يلجم، النقد عنده محبة أولا لا واجباً يشتغله بلا شهية لينتج نقدا يسد الشهية، كما يفعل الكثير من (النقاد الموظفين) من دعاة الرصانة والمنهجية التي هي في حقيقتها ليست ببعيدة عن منجز محمد صابر قطعا، لكنكم لا ترونها لأنها لا تشبهكم. محمد صابر عبيد منهج نقدي كذلك لا تسعبده المقولات والثوابت، منهج مشغول بما سيقول هو لا باجترار ما قيل قبله، نقد محمد صابر عبيد هو محمد صابر نفسه، طفل مشاكس يرى لذّته في تكسير وتفكيك ما بين يديه من ألعاب ليقف على جماليات تكوينها ، ليرتاح نزق الطفل فيه.

مشكلتكم مع محمد صابر عبيد أنكم لا تقرأونه بعيون الطفل، بل وأكاد أجزم أنكم تصفحتم ربما ما تيسّر من منجزه فوجدتم فيه ناقداً مقلقاً يمكن – وقد فعل – أن يهزّ عروشكم، التي لا يلتف حولها إلا طلاب دراسات عليا أجدتم تدجينهم لكي يروا فيكم آلهة يسبحون باسمها صباح مساء، يا أستاذ درستموني دراسة تلقينية لم أخرج منها بسوى مصطلحات تؤكدون لي دائما على صعوبة حدّها مفهوميا، ولجأت إلى نقد محمد صابر عبيد وهو الذي لم أدرس عليه يديه، فرأيتُ ماء النقد على أوج صفائه، واللغة على أوج خصوبتها، والالتقاطة التحليلية تشعّ ذكاءً، وآمنت أن الناقد الذي لا يشتغل نقديا من أرض الشعر، ومن دواعي الطفولة في التكسير لتحقيق متعة الاكتشاف، سينتج كما أنتج الكثير من (موظفي النقد في جامعاتنا) كتبا يتضجّر منها حتى رفّ المكتبة ولا تمتد إليها إلا يد الغبار، ولا يخيم على غلافها سوى نسيج العنكبوت.

رحيل الشاعر غازي خطاب

نعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الأديب والشاعر غازي خطاب.

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير /الأسبوع الأدبي/ يتقدمون بأحر التعازي والمواساة من أسرة الفقيد غازي خطاب. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الممسوسة

• محمد الحفري

"الممسوسة" هو عنوان المجموعة القصصية الجديدة لمؤلفها محمد أمين الساطي، وهي العمل الثالث للكاتب الذي صدر له في السابق مجموعة قصصية تحمل عنوان " أوهام حقيقية" ورواية بعنوان " نبوءة على التلفاز"

في مجموعة الممسوسة يشتغل الكاتب على أمرين يوليهما الأهمية الكبرى قبل غيرهما، وقد يكفينا في هذا العجالة أن نأخذ الأمثلة من قصته الأولى الموسومة بـ " جزر سيشل" والتي يتجاوز عدد صفحاتها الأربعين صفحة، وهذا بدوره يعني أن الكاتب صاحب نفس طويل هو أقرب ما يكون إلى الرواية.

أما الأمر الأول فهو الكشف وتقديم المعلومة وهذا ما نلحظه في القصة الأولى" جزر سيشل - سمك المنشار - الفضاء - كوكب الزهرة" وجزر سيشل تقع في إفريقيا على المحيط الهندي، وعاصمتها فيكتوريا، وعملتها هي الروبية، وقد اعتمد الكاتب على تقديم المكان في أكثر من عنوان، والذي يبدو ضيقاً من الناحية الجغرافية في بداية القصة، ولكنه يتسع ليصبح فضاءً واسعاً للحدث ولأبطاله الذين يتجولون بكل حرية، فهم في نهاية الأمر أبطال فوق أوراق هذه القصص، وربما كانوا في السابق على أرض الواقع.

والأمر الثاني الذي تعنى به مجموعة المسوسة هو التشويق لأن صاحبها اشتغل بمهارة على هذه الناحية، وبالعودة إلى " جزر سيشل" سنجدها تبدأ بالذكرى " ما زلت أذكر حتى الآن صباح هذا اليوم" ومن ثم التعريج على علاقته ببطلته " فيرا" ومحبته لها والسفر الطويل للوصول إلى المطار، زيارة عائلتها، ووصف السوق القديم، صديقه "خليل" وحبيبته، والأهم من ذلك تلك الرحلة البحرية التي يتركنا في كل تفصيلة منها أمام انتظار ما سيحدث، ولنسأل هل ستغرق المجموعة؟ هل ستموت عطشاً؟ هل ستتوه في البحر الواسع ؟ وتلك أسئلة يتجاوزها القص المحكم، وقد أخفى عنا أموراً تزيد من التشويق وتشعله إلى درجاته القصوى، فقد تعرض المركب للصدم من قبل سمك المنشار، وكان على المجموعة أن تقفز وتسبح هاربة إلى جزيرة قريبة، والبطل قد فقد الوعي وعليه أن ينتظر جماعة "الأستيز" التي تهبط من السماء مرة في كل أسبوع لتعالج المرضى، وسمك المنشار لم يكن سوى واحد من القوارب التي يستخدمها أهل تلك الجزيرة في تدمير الأهداف المعادية.

يدخلنا الكاتب معه في عالمه الغرائبي العجيب " بغتة دخل إلى الكوخ الموجودين فيه اثنان من المخلوقات الغريبة، وهما يرتديان بدلتين فضيتين لامعتين "وينتقل ليصور حالته "في اليوم الرابع غادرت الطبق الطائر.. لقد عدت إلى الحياة بفضل هذه المخلوقات التي لا أعرفها" وزيادة في تلك الغرائبية يصف المكان بالقول "هذه الجزيرة محمية بحقول كهرومغناطيسية قوية تجعلها غير مرئية ليس فقط لأجهزة الرادار ولكن أيضاً لعيون البحارة الموجودين في عرض البحر" وهم في تلك الجزيرة يمتلكون مدافع الليزر القادرة على اختراق وتدمير كل شيء، وسكان تلك الجزيرة أغلبهم من كبار السن، لأن الأطفال والشباب قد تم نقلهم إلى كوكب الزهرة"

وبعد أحداث وأحداث يضع البطل مع حبيبته خطة الهروب من الجزيرة وينجحا في ذلك، وكل هذه التخيلات والمغامرات كانت بسبب تناوله للفطر السحري، وهو نوع من المخدرات التي تذهب العقل، وتفتك بالأعصاب، لكن الشيء الحقيقي والثابت هو علاقته بتلك المرأة التي لا يستطيع الاستغناء عنها.

لقد حوت المجموعة على القصص التالية بعد التقديم " جزر سيشل - ثورة الموسيقا - ناديا - المفاجأة - المسوسة - الزلزال - رسالة على الماسنجر - المسحوق " وهذه القصص كما أسلفنا تسعى نحو الكشف، وتقوم في جوهرها على فكرة المغامرة، وربما في هذه المغامرة يكمن لب الكتابة وجوهرها، وهذا ما يلاحظ في القصة الحاملة لاسم المجموعة ونقصد "الممسوسة" والتي تغامر بطلتها بعد فشل قصة الحب التي عاشتها بالذهاب إلى بيروت والعمل في مجال السحر والشعوذة، ونحن لا ندري لماذا أطلق عليها تلك التسمية بالذات، فهي لا تحمل صفات من أصابهم المس وفي قصة " المسحوق" نرى بطلها يحاول معرفة أدق التفاصيل عن جارته " لمياء" حيث يقول : " أتلصص عليها من وراء الشباك عندما تقوم بنشر غسيلها في الفسحة الموجودة في بيتها" وفي مكان آخر يقول : " حاولت عدة مرات أن أجر زوجتي للحديث عن جارنا أبو كمال، وأن أتطرق من خلاله إلى زوجته لمياء" ومع ذلك يمكن القول عن هذه القصة بالذات أنها أقرب قصص المجموعة إلى الواقعية من حيث الشكل والمضمون والعنونة أيضاً لأنها برأينا تحمل وجهة نظر واقعية حيث يقول الكاتب من خلالها :" عندما يصبح الزوج عاجزاً عن توفير مستلزمات أسرته يفقد احترامه لنفسه، ويصبح مسحوقاً وعدائياً بالوقت نفسه"

بالعودة إلى الضمائر التي استعملها الكاتب في قصه نجد الـ " أنا" متسيدة على غالبها، وقد نستثني من ذلك قصة "الزلزال" التي استعمل فيها ضمير"هو" حيث يبدأها بالقول : في هذا الصباح ضربت بيروت هزة أرضية فتداعت إلى رأس هشام في بلكونته المطلة على البحر" وكذلك في "المسوسة" التي يقول في مطلعها :" الفشل المستمر دفع سمير إلى الاعتقاد بأن هناك قوى طبيعية أكبر منه تسعى جاهدة إلى تدميره" ولعل الكاتب في هذه المسألة يميل إلى قناعة تخصه وحده، وهو بالتالي يكتب باللسان الأقرب إلى نفسه، لكن الملاحظ في عمل الكاتب الذي بين أيدينا، وفي عمليه السابقين ميله إلى ترجيح فكرة وجود قوى خفية تتحكم في مصير البشرية جمعاء من ناحية، ومن ثم استخدامه لعلوم الفيزياء والكيمياء والطاقة، وغيرذلك في القص والروي على حد سواء إضافة إلى خيال علمي دافق يجنح في الافتراض لصالح أفكاره التي يطرحها.

في ختام هذه القراءة يمكن القول إن الكاتب محمد أمين الساطي قد قدم في متون نصوص مجموعته " الممسوسة" المتعة والفائدة في آن، وفي هذه النصوص نجد الحدث الذي يتبعه بحدث جديد، وبالتالي يمكن حقيقة التعويل عليها في بناء درامي جديد ممتدة بذلك نحو مساحات أكثر سعة ورحابة.

"جيو ميليف" ثورة الشعر البلغاري

• إيلين كركو

عندما خطّ الشاعر البلغاري «جيو ميليف» أبيات قصيدته الملحمية الشهير «ايلول»، لم يكن يخمّن أنها ستقوده إلى الموت. ولكنها، وإن مات مُبدعها، بقيت بياناً ثورياً خالداً لايموت، بياناً يؤكد أن الوطن يحميه أبناؤه الفقراء.

ولد "جورجي كازابوف» المعروف بـ «جيو ميليف» في «رادنيفو» عام 1895. كان والده مدرساً وصحفياً، وعندما انتقلت العائلة إلى "ستارا زاغورا» أدار الوالد مطبعة صغيرة ومكتبة، الأمر الذي ترك عظيم الأثر على جيو اليافع الذي بدأ بكتابة الشعر في الثانية عشرة من عمره وطوّر موهبته في الرسم والترجمة.

التحق «جيو» بالمدرسة الثانوية في المدينة من عام 1907 إلى عام 1911 قبل أن يتابع دراسته في جامعة صوفيا. واصل تعليمه في كلية الفلسفة في جامعة لايبزيغ عام 1912 حيث عايش التعبيرية الألمانية. بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914، سافر من لايبزيغ إلى لندن، حيث أمضى عدة أشهر في مشاهدة معالم المدينة وتحسين لغته الإنجليزية والتقى بالشاعر البلجيكي «إميل فيرهارين» وربط بينهما صداقة متينة.

اعتقل جيو ميليف في هامبورغ في أواخر عام 1914 للاشتباه في أنه جاسوس إنجليزي. أطلق سراحه بعد أحد عشر يومًا وعاد إلى لايبزيغ ، حيث عمل على أطروحته الجامعية، ليعود إلى بلغاريا في منتصف عام 2015 دون الحصول على درجة علمية.

في السنة التالية، اهتم "جيو» بأعمال الأسرة بعد استدعاء والده للخدمة في الجيش، كما أصبح قريباً من شعراء الرمزية في بلغاريا وقام بترجمة ونشر بعض أعمال "مالارميه» و"فيرلين» و"نيتشه»، كما أسس فرقة درامية في "ستارا زاغورا» وسمي المسرح فيها باسمه حالياً.

استدعي عام 1916 إلى الجيش، وأُرسل إلى جبهة "سالونيك» كضابط مخابرات إلى أن أصيب عام 1917 أثناء القصف البريطاني وفقد عينه اليمنى.

عندما انتهت الحرب، أمضى عدة أشهر في برلين للعلاج واطّلع على الثقافة النابضة في الحياة في ألمانيا بعد الحرب حيث ولدت من رحم الحرب الدموية الوحشية التي لا طائل منها حركة فنية جديدة هي "التعبيرية" التي تبناها "جيو» وتأثر أسلوبه بها إلى حد كبير.

عاد "جيو ميليف» إلى بلغاريا عام 1919 وأسس فيها مجلة «Vezni" التي نشر على صفحاتها رمزية وتعبيرية شعراء من بلغاريا وترجمات لـ "نيتشه» و"شوبنهاور» و«ادغار آلان بو" و"أوسكار وايل"، إلا أن المجلة أُغلقت عام 1922 ليعاود "جيو» تأسيس مجلة «Plamak".

في تلك الأثناء كانت بلغاريا في خضم كارثة كبرى، وفقدت عدداً كبيراً من مواطنيها وجزءاً من أراضيها، كانت ترزح في ظل اقتصاد منهك خلّف مئات الآلاف من اللاجئين المعوزين.

بذلت حكومة الحزب الزراعي جهودًا كبيرة لإعادة الإعمار، لكن أساليبها كانت وحشية وديكتاتورية ومعادية للفكر.

في عام 1923 أطاح انقلاب عسكري دموي بالحزب الزراعي، ونظم المزارعون في ايلول من العام نفسه تمرداً أُطلق عليه فيما بعد "انتفاضة ايلول". قمعت الحكومة البلغارية التمرد بقسوة أنتجت معارضة شيوعية سرية وعنيفة وكانت بلغاريا في أتون حرب أهلية.

خطّ "جيو ميليف» قصيدته «ايلول» المستوحاة من ثورة 1923، مستخدماً ببراعة الإيقاع والصور التعبيرية لتصوير آمال المتمردين ومأساة فشلهم.

لم تكن الحكومة راضية عن هذه القصيدة التي اعتبرتها تحريضية، وقامت بمصادرة النسخ المطبوعة، ووجهت لكاتبها عام 1925 تهمة انتهاك قانون الدفاع عن الدولة ليلقى القبض عليه وليطلق سراحه فيما بعد بكفالة.

ومع تدهور الوضع السياسي في البلاد مثل "جيو ميليف» أمام المحكمة في الرابع عشر من أيار وتمت إدانته والحكم عليه بالسجن لمدة عام مع غرامة مالية كبيرة، لكنه طلب الاستئناف، وفي صبيحة اليوم التالي اعتُقل من منزله للتحقيق ثانية، واختفى بعد ذلك.

بقي مُغيباً إلى أن اكتشفت جثته عام 1954 في مقبرة جماعية في ضواحي صوفيا، حيث لا تزال إحدى الجماجم تحتوي على عين زجاجية في محجرها الأيمن. وأظهر تشريح الجثة أن الشاعر قد مات خنقاً بسلك.

بحلول ذلك الوقت بات "جيو ميليف» أحد نجوم الشيوعية، وباتت أفكاره اليسارية وطريقة وفاته صفحة من مرحلة دموية في ذاكرة الشعب البلغاري.

كان شعر "جيو ميليف» مرآة صادقة لواقع أليم، لأن أبياته كانت تعبر عن إيمانه وانتمائه لشعبه، وكشفت عن وجه الفاشية المتعطشة للدماء. كان شعره يسير بخطى تتماشى مع الأحداث، وكانت كلماته كالرصاص المصوب إلى قلب الفاشية.

وفي قصيدته الشهيرة ايلول أبيات مؤثرة منها:

الشعب
المطعون بألف سكين
الغارق في فقر أسود
المحروم كوردة
في الظلام والخوف
يبقى هناك
ليكتب بدمه
حرية!

رحل "جيو ميليف»، وأصبحت عينه الزجاجية جزءاً من مجموعة متحف التاريخ الوطني وتحول منزله إلى متحف صغير يجمع قصائده ومقالاته وتحليلاته الأدبية وترجماته، إلا أن قصيدة "ايلول" بقيت إنجازه الأكبر الذي تُرجم إلى العديد من اللغات، بقيت شاهداً على موهبة استثنائية، لشاعر مبدع رحل باكراً عن عالمنا، ليبقى خالداً في الذاكرة، في الوجدان، وفي ضمير الإنسانية .

رحيل الدكتور عبد الإله نبهان

نعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الدكتور عبد الإله نبهان عضو اتحاد الكتاب العرب.

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها
عضو جمعية البحوث والدراسات
عضو مجمع اللغة العربية
وهو من مواليد حمص 1945.

من مؤلفاته:

- ابن يعيش النحوي
- بحوث في اللغة والنحو والبلاغة
- الفهارس الشاملة للأشباه والنظائر في النحو

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير / الأسبوع الأدبي / يتقدمون بأحر التعازي والمواساة من أسرة الفقيد الدكتور عبد الإله نبهان. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: مالك صقور
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: أ.محمد حديفي

مدير التحرير: د.حسن حميد

الإشراف الفني: نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني: مها حسن

هيئة التحرير:
أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب،
علوش عساف، عماد نداف، محمد الحفري

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy
E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي
يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

•أ.محمد حديفي - رئيس التحرير

جُرعةٌ من أمل

في الردهة الخلفية للعقل الباطن تقبع ذكريات بعضها يجنح نحو السلب بينما بعضها الآخر يجنح نحو الإيجاب، وهذا أمر طبيعي، ويدخل ضمن التركيبة النفسية للإنسان الذي كثيراً ما تواجهه في حياته اليومية، وخلال مسيرة قد تقصر وقد تطول أحداث تأبى أن تغادر ساحة تفكيره أو تزول منها وإلى الأبد، واللافت في هذه المسألة أن الأفكار التي تأبى الزوال والإمحاء هي تلك الأفكار التي تحتفظ بها الذاكرة وفي غالب الأحيان تحفظها كمشاهد موجعة لعذابات مرت على المرء، وحفرت عميقاً في وجدانه، فشكلت جراحاً دائمة النزف، وندوباً عصيةً على التلاشي والاندمال..

وإنه لما هو جدير بالذكر أن نعترف أننا نحن السوريين، وخلال عقد مضى، أو أشرف على التلاشي والانقضاء واجهنا من المصاعب والكوارث والملمات ما يعجزُ عن تصوره عقل، أو يمكن للذاكرة أن تمحوه، أو حتى تتجاهله، ولئن كنا نحن الذين قطعنا شوطاً في رحلة العمر قادرين على تجاوز ما كابدناه وتماسكنا أمامه، وصبرنا عليه من أجل تخطيه للإسهام في بناء المرحلة القادمة التي يكتنفها الغموض لأننا نرى محاولات أعدائنا الدائبة المستمرة لزرع المكائد، ومواصلة الحرب علينا بكافة الوسائل، وعلى كافة الصعد؛ حيث وصلت الوقاحة واللاإنسانية لديهم إلى محاربتنا بلقمة عيش أطفالنا، وحرمانهم من أن يعيشوا طفولتهم؛ إذ نرى هؤلاء الأعداء يواصلون حربهم الاقتصادية علينا، ويحكمون الحصار ضدنا حتى أن هؤلاء الأعداء، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأميركية يواصلون تهديداتهم قولاً، وينفذونها عملاً، وعلى أرض الواقع؛ إذ يصبون جام غضبهم، ويفرضون أقسى العقوبات على أية دولة تسعى للتعامل معنا ورفدنا بما هو ضروري لاستمرار عجلة الاقتصاد لدينا في العمل لمواصلة الحياة، وعندها تحجم دول كثيرة عن التعامل معنا، أو إرسال المواد الأولية الضرورية لرفد مصانعنا، وتمكينها من تقديم ما هو ضروري لحياة المواطن، وعيشه بكرامة ولو كان ذلك لسد الرمق، لئن كنا نحن أصحاب التجارب قادرين على التحمل فما هو حال أطفالنا الأبرياء الذين عاشوا تجارب أكبر من قدرتهم على التحمل؟ ولكي لا يكون الحديث في العموميات دعونا نضرب بعض الأمثلة التي تثبت صحة ما نرمي إليه، ونريد إثباته على أرض الواقع..

في الآونة الأخيرة تم وبشكل سافر منع أية باخرة تحمل الوقود الضروري لتشغيل الآليات التي هي عصب الحياة لأي مجتمع وبغير ذلك لا حيلة له مهما كان متماسكاً ومتعاضداً، ويملك القدرة على تخطي المحن وتجاوز الملمات، وقد لجأت الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها الأوروبيون، وعملاؤها من العرب إلى هذه الوسائل الإجرامية الرخيصة المقترفة بحق الشعوب من أجل الضغط على الدولة لتقديم التنازلات للكيان الصهيوني ودفعها وإكراهها للانضمام لصفوف الدول العربية التي تقاطر أكثرها للتطبيع مع عدونا التاريخي وكسب وده لقاء وعد منهم من هذا العدو يبقي حكام هذه الدول على سدة عروشهم، كي يواصلوا رفد أمريكا والغرب بالأموال الطائلة لمنعهما من الإفلاس، والإبقاء على عجلة اقتصادهم مستمرة في الإنتاج، وتستمر المصانع لديهما تنتج السلاح الفتاك الذي يستورده العرب لغزو الشعوب الفقيرة والدول المستضعفة كما تفعل السعودية في اليمن، وليست سورية وما يحصل فيها من حروب مدمرة ببعيدة عن هذه الأمثلة.. سورية التي تجابه أكثر من ثمانين دولة، ويقف جيشها بالمرصاد لحراسة حدودها، وإبقائها في طليعة الدول العربية التي ترفض التطبيع مع العدو الصهيوني تدرك أكثر من غيرها الأهداف والمرامي التي يسعى عدونا التاريخي لتحقيقها مهما ترك من ويلات جراء محاولاته تلك، ومهما خلف من كوارث ضد هذا الشعب الذي قدم أولاده قرابين عز وفخار على مذبح الكرامة واستقلال القرار، وحماية تراب الأرض.

وحينما فوجئ أعداؤنا بأن شعبنا صابر وصامد ورافض للإذعان إلى الإملاءات واصلوا مسيرة التخريب والتدمير والغدر فجندوا عملاءهم في الداخل وأوعزوا بحرق الغابات والمحاصيل الزراعية التي تكاد تكون المورد الوحيد لبعض الأسر الفلاحية التي تروي أشجارها بالعرق، وتصرف كل الوقت للعناية بها من أجل أن تعطي المردود الذي عن طريقه تستمر الحياة.. ثم تفتقت أذهانهم في نهاية الأمر عن أقبح الشرور وراحوا يهددون بتسميم مياه الشرب التي لا يمكن للمرء الاستغناء عنها، وهنا يتساءل المرء: من أية طينة جُبل هؤلاء الأوغاد وعملاؤهم حتى يُقدموا على مثل هذه الأمور البشعة والخسيسة بحق الإنسان والإنسانية؟! وأي إجرام يرقى لمستوى هذا الإجرام الذي اقترفته أيديهم؟!

وهنا علينا الا ندهش لمثل هذه الأفعال والأعمال الإجرامية، فالذين شرّعوا قتل الإنسان وتهجيره وتدمير مسكنه ومأواه وقاموا بجز الرؤوس وإنشاء المقابر الجماعية واغتصاب الحرائر أمام أطفالهم وذويهم ليس بمستغرب أو مستهجن منهم أن يقوموا بحرق المحاصيل وتسميم مياه الشرب..

من هنا أرى أن ذاكرتنا تحتفظ بكل هذه الذكريات المؤلمة فتقفز إلى ساحة مشاعرنا وتنغص علينا لذة العيش وهدوءه واستمراره..

لكنني أرى أن لا يأس مع إرادة الحياة، فمن وجهة نظري أن الصعب ذهب وتلاشى، ولا بد من شروق يضيء دروب السوريين فتتضح معالم الطريق، وعندها سيسجل تاريخ المرحلة بأن السوريين صمدوا أمام محنهم، وأن الحياة السعيدة والجادة الحافلة بالأمجاد تليق بهم، فالأمل لدى السوريين يحافظ على جذوته متقدةً ومشتعلة، ومع الأمل تهون الصعاب وتسمو المبادئ، وعندها تندحر الظلمة، وينهزم الظلام..

وأمام ذلك كله لابد لعقلنا الباطن الذي كثيراً ما اختزن الذكريات المؤلمة من أن يختزن إلى جانبها ذكريات فيها الكثير من الإيجاب الذي يبعث في نفوسنا الفخر، وعندها نقول: ها نحن نملك أيضاً ما يدعو إلى العزة والافتخار ويبشّر ببصيصٍ من أملٍ في نهاية النفق.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

إصدارات جديدة
منشورات اتحاد الكتّاب العرب

•عزف على الجرح
• فايز عز الدين
• شعر

•بين فراشة ونملة
• كنينة
• أدب الأطفال

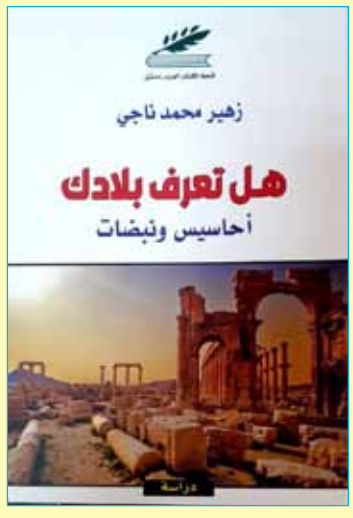

•هل تعرف بلادك
أحاسيس ونبضات
• زهير محمد ناجي
• دراسة

•في شريانكِ أنست شمساً
• رولا عبد الحميد
• شعر